السبت 3 شباط 2024
العدد 5124 السنة الثامنة عشرة
Samedi 3 Février 2024 no 5124 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

مبدعون من غزة يدوّنون «كتاب الوصايا»

العدو: التهدئة في غزة لا تشمل جنوب لبنان

إسرائيل تطلب حلاً ... وأميركا تريده عاجلاً [2]

تسارع عجلة التفاوض

المقاومة متمسّكة بـ«الضمانات»

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

العدو: التهدئة في غزة لا تشمل جنوب لبنان

إسرائيل تطلب حلاً ... وأميركا تريده عاجلاً

يواصل المسؤولون السياسيون والعسكريون الإسرائيليون إطلاق التهديدات بتوسيع الحرب على لبنان، بالتزامن مع وساطات وأفكار أميركية وغربية للتوصل إلى صيغة جديدة لإدارة الوضع في الجنوب، تتضمن تلبية لمطالب العدو بخلق ظروف ميدانية يبتعد بموجبها رجال المقاومة عن الحدود مع فلسطين.

احتمال التوصل إلى هدنة قريبة في قطاع غزة، وانعكاسها على الجبهة الشمالية، يفاقم من أزمة العدو الذي لا يزال يصرّ على العودة إلى الحرب في غزة بعد إنجاز عملية التبادل، ما يعني عودة الجبهة اللبنانية إلى الاشتعال. وهذا ما يجعله مضطراً للقيام بخطوات مسبقة في ظل الضغط الذي يفرضه نزوح أكثر من 150 ألفاً من سكان المستعمرات المحاذية للحدود اللبنانية، وهو ما عبّر عنه معلقون إسرائيليون أمس، بالتساؤل حول «ماذا سيقول الجيش للناس؟ اذهبوا ورتّبوا أموركم، ولكن تحضّروا للنزوح مجدداً بعد شهر أو شهرين أو أكثر؟».

على هذه الخلفية، رفع العدو من مستوى تهديداته، لكنه اختار طريقة جديدة في الحديث عن الجبهة الشمالية من دون ربطها بمجريات الأمر على جبهة غزة. وكان البارز أمس جولة وزير الحرب يوآف غالانت في المنطقة الشمالية، وقوله إنه «إذا اعتقد حزب الله أنه عندما يكون هناك وقف لإطلاق النار في الجنوب، سيوقف إطلاق النار ونحن سنفعل ذلك أيضاً، فإنه بذلك يرتكب خطأ كبيراً». وأضاف: «طالما أننا لم نصل إلى وضع يمكن فيه إعادة سكان الشمال بأمان، فلن نتوقف. عندما نصل إلى ذلك، إما من خلال تسوية أو بطريقة عسكرية، سنكون قادرين على أن نكون مطمئنين».

> العدو يخشى من أن يؤدي وقف إطلاق النار إلى تكريس الوضع القائم مع لبنان

ويشير موقف غالانت إلى خشية العدو من أن يؤدي وقف إطلاق النار إلى تكريس الوضع القائم على حدود لبنان. في حين أن العدو يطمح إلى إعادة إنتاج وضع ميداني وأمني يحول دون استمرار الوضع الذي كان قبل السابع من تشرين الأول.

وفيما يحاول غالانت من خلال هذا الموقف الضغط على المقاومة وعلى الداخل اللبناني بالتلويح بأن الوضع الأمني سيبقى متفجّراً إن لم تتم تلبية المطالب الإسرائيلية، إلا أنه يتجاهل مسألة أساسية، وهي أن استمرار اعتداءات جيش العدو بعد وقف إطلاق النار في غزة، سيحول المعركة إلى لبنانية بامتياز، ويصبح فيها حزب الله في موقع المدافع عن أمن بلاده».

وبحسب القناة 12 العبرية، فإن «جهوداً كبيرة يتولاها الأميركيون للوصول إلى تسوية». ونقلت عن مصادر إسرائيلية أنه «حتى نجاح التسوية، فإن الجيش مستعد في ضرب نشطاء وبنى تحتية تابعة لحزب الله». كما أشار قنصل إسرائيل السابق في نيويورك، ياكي ديان، إلى أن الجهد الأميركي حالياً يتركز على منع فتح جبهة إضافية في لبنان. «وهذا الأمر يقلق الأميركيين جداً، فحتى حين يدرسون كيفية الرد على الإيرانيين وسيردون، يقومون بذلك بشكل لا يؤدي إلى فتح معركة إقليمية. ويعود ذلك إلى أن الولايات المتحدة في عام انتخابات، وأسعار النفط هي ما ستقرر. لذلك الولايات المتحدة مصرّة على منع معركة إقليمية في الشمال».

في غضون ذلك، تحدثت أوساط سياسية لبنانية عن زيارة لمستشار الرئيس الأميركي لشؤون أمن الطاقة عاموس هوكشتين إلى بيروت، بعد زيارته مطلع الأسبوع إلى كيان الاحتلال في إطار استمرار المساعي لتجنب التصعيد بين لبنان وإسرائيل. وقالت مصادر في الوفد النيابي الذي زار واشنطن (ضمّ نائب رئيس مجلس النواب إلياس بو صعب، والنواب الان عون، نعمة أفرام، ياسين ياسين وأسعد درغام)، وعقد لقاءات مع مسؤولين من بينهم هوكشتين ومساعدة وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى باربرا ليف، إن هؤلاء «سمعوا بأن الوسيط الأميركي قد يزور بيروت بعد تل أبيب حيث سيحاول وضع أرضية للاتفاق بالتوازي مع مسار التهدئة في غزة»، فيما لم تتبلغ أي من الجهات السياسية في بيروت بمعلومات عن الزيارة التي قالت مصادر إنها تعتمد على «ما سيتم التوصل إليه مع الإسرائيليين».

إلى ذلك، يبدأ وزير الخارجية الفرنسي ستيفان سيجورنيه السبت جولة تشمل مصر والأردن وإسرائيل والأراضي الفلسطينية ولبنان، و«تتمحور حول الآفاق السياسية لمرحلة ما بعد الحرب في غزة».

(الأخبار)

«المقترح المردود» لبريطانيا – فرنسا:
وقف جزئي للحرب على 5 كلم... للتجربة!

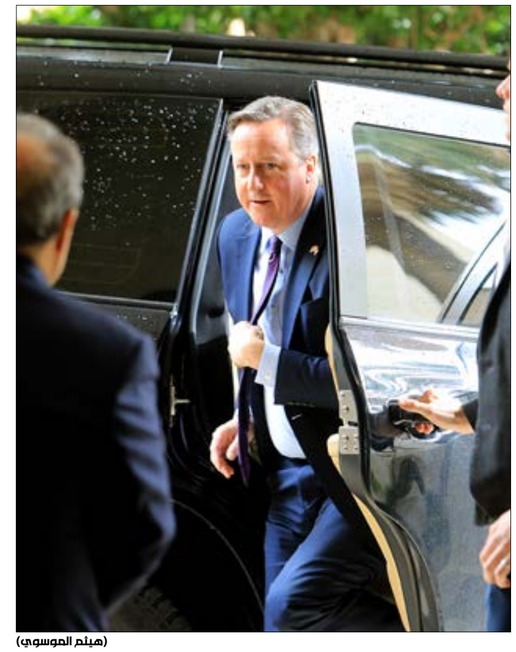

(هيثم الموسوي)

تبلّغ وزير الخارجية البريطاني ديفيد كاميرون موقفاً لبنانياً موحّداً في المضمون، وإن اختلفت طريقة التعبير عنه بين مسؤول وآخر، وفحواه أن لا جهوزية في لبنان للبحث في أي ترتيبات خاصة بالحدود مع فلسطين المحتلة قبل وقف العدوان على غزة.

وعلمت «الأخبار» أن المسؤول البريطاني يحاول، بالتعاون مع الجانب الفرنسي، تحديد الجهة اللبنانية عما يجري في قطاع غزة. ويوضح متابعون أن العواصم الغربية التي تتحدّث عن وقف وشيك لإطلاق النار في قطاع غزة، تتصرف على قاعدة أن هناك احتمالاً قوياً لاستئناف العدوان على القطاع بعد انتهاء الهدنة المحتملة، ربطاً بالرفض الإسرائيلي لإعلان وقف نهائي لإطلاق النار، وإصرار العدو على بدء إنسانية في المفاوضات الجارية للتوصل إلى تبادل للأسرى والمعتقلين مع حركة حماس.

وبناءً على هذا التقدير، يروج الجانبان البريطاني والفرنسي لفكرة «وقف تدريجي لإطلاق النار على الجبهة اللبنانية - الإسرائيلية» بحسب ما قال مسؤول معنيّ لـ«الأخبار». وأضاف أن الاقتراح «يستهدف خلق آلية جديدة لعمل قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بالتعاون مع الجيش اللبناني، تحظى بدعم الدول المشاركة في القوات الدولية والأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، خصوصاً الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا».

ويتضمن الاقتراح إنشاء فوج جديد في القوات الدولية يتولى مراقبة جانبي الحدود بواسطة أبراج تقام مباشرة على الخط الأزرق، مع تعزيز انتشار الجيش اللبناني في المنطقة الحدودية. وأشارت المصادر إلى أن الاقتراح يشير إلى «تجربة تبدأ في منطقة تمتد من رأس الناقورة غرباً بمسافة 5 كلم باتجاه الشرق، على أن تتوزّع الأبراج وفق مسافات تؤمّن لها القيام بالمهمة، بالتزامن مع إنهاء المظاهر المسلحة على جانبي الحدود على طول هذه المسافة». وفيما لم تتضح كيفية تنفيذ الأمر من الجانب الإسرائيلي، يؤكد البريطانيون أن جيش الاحتلال سيخفي كل المظاهر العسكرية في هذه المنطقة. ويترافق ذلك مع وقف العمليات العسكرية في «منطقة التجربة». وفي حال نجاحها، يصار إلى توسيع المساحة باتجاه الشرق إلى أن تغطي كل الحدود، من دون الإشارة إلى أي عمق داخل أراضي الجنوب أو داخل أراضي فلسطين المحتلة.

> سمع البريطانيون والفرنسيون من حزب الله أن البحث غير وارد حالياً في أي أفكار

وبحسب المقترح الذي وصفه المسؤول بأنه «فريد من نوعه، لكنه غريب جداً»، سيجري تنفيذه من دون ربطه بمجريات الحرب في غزة، بما يمكّن بعد فترة وجيزة من الوصول إلى منطقة آمنة على طول الحدود، مع قدرات أكبر للقوات الدولية والجيش اللبناني على منع الخروقات، ما يوفّر المناخ الآمن لعودة النازحين من السكان على جانبي الحدود.

وبعد التواصل مع حزب الله بطرق مختلفة، فإن الموقف الرسمي الذي سمعه البريطانيون والفرنسيون، والذي كرّره مسؤولون في الحزب أمام موفدين غربيين وأمام مسؤولين لبنانيين، مفاده أن البحث «غير وارد» على الإطلاق في هذه الفكرة ولا في غيرها. وكان هذا واضحاً في الموقف الذي أعلنه الرئيس نبيه بري وفيه: «لدينا القرار 1701، وليس عندنا أي استعداد للبحث في أي تغييرات عليه أو على آلية العمل. وأي بحث، سيكون محصوراً في سبل تطبيق هذا القرار، خصوصاً من الجانب الإسرائيلي، وأن هذا البحث لا يتم في ظل استمرار المواجهات العسكرية عند الحدود الآن، وهي مواجهات لا يبدو أنها ستتوقف إلا عند وقف العدوان على قطاع غزة وأهله».

(الأخبار)

المقاومة تستنفر كلّ وحداتها
العدو فوجئ بأحد الصواريخ

تتواصل الرسائل الغربية إلى لبنان، محذّرة من أن المعارك على الحدود قابلة للتطور سريعاً إلى حرب واسعة. ويكرّر الموفدون أن لديهم معلومات وتقديرات بأن في إسرائيل من يريد شنّ حرب ضد حزب الله في لبنان، وأن العواصم الكبرى التي تضغط على حكومة الكيان، تحتاج إلى مساعدة حزب الله بوقف عملياته العسكرية، والسماح بالعودة الآمنة للمستوطنين الإسرائيليين إلى الشمال.

ورغم أن قيادة حزب الله لا تميل إلى فكرة أن العدو جاهز لشنّ حرب ثانية في ظل هزيمته الكبيرة في مواجهة المقاومة في قطاع غزة، إلا أنها حرصت في اليومين الماضيين، على الطلب من المتحدّثين باسمها في مناسبات تكريم الشهداء، إلى تأكيد أن المقاومة لا تهمل احتمال لجوء العدو إلى الحرب، وأنها تبني إجراءاتها على هذا الأساس، ولذلك، تقرّر أن تكون كل وحدات المقاومة في حالة استنفار وجهوزية عالية لمواجهة أي حرب.

وعلمت «الأخبار» أن في تعمّد المقاومة إظهار بعض الأسلحة في العمليات الأخيرة، إشارة إلى أن العدو لا يعلم عن كل ما في حوزتها، وأنه سيواجه حرباً قاسية إن فكّر بالهجوم على لبنان. وقد تأكد أن جيش الاحتلال لم يكن على علم بحيازة المقاومة لأحد أنواع الصواريخ التي استُخدمت في العمليات أخيراً.

وكان رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله السيد هاشم صفي الدين أشار في كلمة له إلى أن «ما تقوم به المقاومة اليوم باستخدام أسلحة جديدة، هو إرسال رسالة فهمها الإسرائيلي، مفادها أن هناك قدرات لدى المقاومة لم تعلن عنها إلى اليوم، وكما تفاجأ العدو ببعض الأسلحة المستخدمة سيفاجأ في المستقبل إذا فكّر في أي مغامرة. وهذه رسالة واضحة». وأكد أن «المقاومة اليوم في ذروة قوتها واقتدارها وجهوزيتها بكل اختصاصاتها وتشكيلاتها، وهي قادرة على أن توجّه ضربات قاتلة إلى العدو الإسرائيلي إذا فكّر في أي مغامرة».

في غضون ذلك، استهدفت المقاومة الإسلامية أمس موقع رويسات العلم الإسرائيلي في تلال كفرشوبا ومزارع شبعا اللبنانية المحتلة، بالأسلحة الصاروخية، وأصابته «إصابة مباشرة»، كما استهدفت انتشاراً لجنود العدو في محيطه بالأسلحة الصاروخية. ورداً على الاعتداءات على القرى الجنوبية والمنازل المدنية وأخرها الغارة على بلدة الجبين، استهدفت المقاومة مبنى في مستوطنة أفيفيم. وتحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن إطلاق 20 صاروخاً من جنوب لبنان على مستوطنة كريات شمونة.

وحول الوضع في المستوطنات الحدودية، نقل موقع «والا» العبري عن قائد سرية في الجيش الإسرائيلي قوله إن «الدمار في المستوطنات، والشوارع الفارغة، والأراضي غير المزروعة، ما هو إلّا عرض ترويجي لما قد يحصل في الحرب مع لبنان. نعلم جميعاً أنه خلف خطّ الحدود، ينتظر الآلاف من مقاتلي قوّة الرضوان المُدربين والمجهّزين للذهاب إلى الحرب».

في المقابل، استهدف العدو بمدفعيته وطيرانه الحربي أطراف الناقورة والخيام والحمامص وأطراف الجبين وشيحين ومجدل زون ومحيط جبل بلاط قرب رامية ووادي زبقين وأطراف عيترون.

(الأخبار)

تحييد لبنان في المواجهة الإيرانية - الأميركية

منذ 7 تشرين الأول الماضي، دخلت المنطقة في وجهَين من أوجه الصراع: مع إسرائيل ومع الولايات المتحدة. حتى الآن، يبدو لبنان محيّداً عن المواجهة مع واشنطن، فيما الصراع مع إسرائيل مستمر على إيقاعه المضبوط

هيام القصيفي

منذ بداية حرب غزة، وعنوان التحرك الغربي تجاه لبنان يتركّز على نقطتين: أميركياً، تحييد لبنان وعدم نقل المواجهة مع حماس إليه، أوروبياً. يضاف إلى ذلك عنوان حماية القوات الدولية العاملة في الجنوب من تداعيات أيّ حرب بين إسرائيل وحزب الله. وفي الحالتين، كان حزب الله ملتزماً شروط اللعبة الإقليمية والتفاوض الجاري، فحصر حدود الاشتباك القائم جنوباً. ولو أنه في الوقت نفسه ربط وضع الجنوب ولبنان بما ستؤول إليه حرب غزة.

مع مرور أربعة أشهر على اندلاع الحرب، لم تعد المقاربات الإقليمية والدولية تنحصر في المواجهة بين إسرائيل والفلسطينيين ومن يدعم حماس في معركتها، بل صارت تتعلق كذلك بالمواجهة مع الولايات المتحدة، وبدأت عناصر هذه المواجهة تتفلّت في أكثر من اتجاه في المنطقة. وفي هاتين النقطتين، ثمّة حدود للتقاطع مع لبنان.

> لا ترغب إيران في جعل لبنان، الذي تملك التأثير الأكبر فيه، ساحة لصراع مع الولايات المتحدة وأوروبا

إسرائيلياً، لا تزال التهديدات التي تنقل في صورة دورية قائمة، في موازاة حركة ديبلوماسية أميركية ناشطة. أما حجم الحشد الأوروبي تجاه لبنان فغير مسبوق، ويذكّر بحرب تموز، وبالحدّ الأقصى بانفجار الرابع من آب، بعد الحركة الإيرانية التي شهدتها بيروت بعد 7 تشرين الأول. والهدف لا يزال إبقاء الاشتباك الحدودي ضمن إطاره الحالي في انتظار تثبيت قنوات الحوار لأسس التفاهم المنتظر، ولا سيما أن هناك شبه تسليم بأنّ التهدئة الإيرانية لافتة في لبنان، في انتظار بلورة اتّساعها إقليمياً.

أميركياً، الأمر مختلف. حتى الآن، مرحلة الثمانينيات أصبحت وراء الطرفين المعنيّين في لبنان. وحدود المواجهة مع الولايات المتحدة لن تتحوّل إلى صراع مكشوف ومتفلّت كما شهدت العلاقة التاريخية بينهما سابقاً. لا الظروف الحالية تشبه الماضية، ولا الطرفان مستعدّان لنقل الصراع الى مستوى آخر. ولا تبدو إيران تحديداً اليوم في هذا المنحى كما يتلمّس الأوروبيون والأميركيون. صحيح أن مفهوم عبارة وحدة الساحات عنى بداية أن الساحات التي تملك إيران نفوذاً فيها ستكون واحدة في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، إلا أن الردود حتى الآن بقيت متفاوتة، من لبنان إلى اليمن والعراق وسوريا. إلا أن ما لفت أخيراً هو أن الساحات الأخرى، وصولاً الى ما جرى عند الحدود الأردنية، أعطت ملامح أولية عن نوع مختلف من المواجهة، وعن استعداد لتوسيع رقعة الاشتباك بين محورَين، من ضمنهما الوجود الأميركي، رغم روايات النفي والتنصّل وانتظار الرد الأميركي وشكله، والمستوى الذي يمكن أن يصل إليه شكلاً ومكاناً وزماناً. فحتى الآن، تعرّضت القوات الأميركية، حيث توجد في جميع مناطق التماس، لعمليات قصف مباشرة. والصراع بهذا المعنى جاء مفتوحاً بقدر ما هي مفتوحة الساحات الخصبة لكل أنواع الاستهدافات المتبادلة. في المقابل، ورغم المحاذير التي يعيشها لبنان منذ أربعة أشهر، إلا أن ما جرى في الأسابيع الأخيرة خارج حدوده أعطى إشارة الى أن لبنان لا يزال محيّداً عن تحوّله إلى ساحة استهدافات متبادلة، وبقي بمنأى عن نقل هذا الشكل من الصراع إليه.

ثمّة مستويات عدّة لهذه المقاربة. أولاً، أن لبنان ليس ساحة للوجود الأميركي العسكري كما في المناطق التي تعرّضت للقصف. ومع ذلك، فإن أول احتكاك مع الديبلوماسية الأميركية في لبنان، مهما كانت هوية القائمين بها، وتنصّل حزب الله منها، ضبط سريعاً ولم يتكرّر، لأنه في لحظة ما كاد أن يتحوّل إلى فتنة داخلية، ولا مصلحة لحزب الله، في تلك الساعة وحتى اليوم، بأن ينقل أيّ جانب من جوانب التوتر الى الداخل فيما هو منشغل في الاشتباك الجنوبي.

الأمر الثاني هو أن لبنان في مرحلة الثمانينيات كان أرضاً خصبة للمواجهات المختلفة الأشكال، فيما كان العراق وسوريا مضبوطَين تحت حكمَي الرئيسَين: صدام حسين وحافظ الأسد، ولم يكن لإيران تالياً النفوذ الذي تملكه حالياً في كليهما. فتحوّل نفوذها مع بداية تمدّدها خارج حدودها تدريجاً الى لبنان، الذي شهد بداية وجود إيران على المتوسط.

المستوى الثالث، أن لبنان اليوم، مع هذا الحشد الديبلوماسي غير المسبوق، لا يزال يمثّل نقطة تقاطع إقليمية ودولية، في نظرتَين مختلفتين بحسابات الدول المعنية. وما يظهر أنه في مقابل اهتمام غربي وعربي بعدم دخول لبنان في الحرب، فإن إيران لا تريد كذلك فتح الساحة التي تملك التأثير الأكبر والمباشر فيها، لصراع مع الولايات المتحدة أو أوروبا. وهي لا تزال تراهن على نفوذها في لبنان وامتلاك أرجحية القرار فيه، وفي غنى عن أن تفقد ورقته بنقل المواجهة الدولية الى أرضه، ما دام لديها ساحات مفتوحة، وقادرة على أن تستخدمها كأداة مساومة، من دون أن تخربط الإيقاع اللبناني، ما يؤهّلها للاستثمار فيه مستقبلاً، ولا سيّما في اللحظة التي تشهد كثافة تدخل أوروبي فاعل، مع واشنطن، الى جانب لبنان، فضلاً عن الموزاييك اللبناني المتشعب الذي لا يزال قادراً بالحدّ الأدنى على فرملة بعض الاتجاهات، ولو لم ينجح في تغييرها بالكامل.

طوفان الأقصى

أميركا تبدأ ردّها على ضربة الأردن

دوّت، في وقت متأخّر من مساء أمس، انفجارات قوية في مواقع مختلفة في محافظة دير الزور شرقي سوريا. وبحسب المصادر الميدانية، فقد استهدفت غارات جوّية مواقع في محيط مدينة الميادين في ريف دير الزور الشرقي، قرب الحدود مع العراق. كما استهدفت غارات أخرى مواقع في محيط مدينة البوكمال الحدودية. وفي السياق، نقلت «ABC NEWS» عن مسؤول أميركي تأكيده «بدء ضربات أميركية في سوريا ردّاً على هجوم الأردن»، الذي أودى بحياة 3 جنود من القوات الأميركية، إضافة إلى عشرات الجرحى. أما «فوكس نيوز» فنقلت عن مسؤول دفاعي أميركي قوله إن «الضربات الأميركية في سوريا، كانت من منصّات متعدّدة»، و«هي بداية حملة طويلة لاستهداف الجماعات الموالية لإيران خلال الأيام المقبلة».
(الأخبار)

تعديلات على «ورقة باريس»
المقاومة تكثّف مشاوراتها: الضمانات أولوية

يشهد المسار التفاوضي تقدّماً، وإن بطيئاً وحذراً، نتيجة تعقيدات لا تتعلّق بتفاصيل صفقة التبادل فقط، بل أيضاً بما سيرافقها من وقف لإطلاق النار مؤقتٍ في مراحل أولى، وتريده المقاومة دائماً في مراحل نهائية، فضلاً عن مسألة المساعدات الإنسانية ورفع الحصار وإعادة الإعمار، وشكل إدارة قطاع غزة بعد الحرب، وعلاقة السلطة التي ستقوم به، مهما كانت، بالسلطة في رام الله، ووضعيّة المسار السياسي الذي يحاول الأميركيون جرّه إلى سكّة «حلّ الدولتين»، ولو بصورة رمزية فقط حالياً. كما سيتأسّس على ما ستُفضي إليه المفاوضات الحالية بين المقاومة والعدو، شكل جديد من العلاقات بين دول المنطقة وقواها، وخصوصاً أمام ما يجري الإعداد له أميركياً، من تطبيع سعودي - إسرائيلي يلي الحرب، ويترافق مع مسار سياسي فلسطيني - إسرائيلي، للوصول إلى «سلام» مزعوم.

وتضغط الولايات المتحدة بقوّة لإنجاز الاتفاق خلال أيام قليلة، وربّما قبل 7 شباط الجاري، الموعد المرتقب لجلسة يعقدها «مجلس الأمن» لمناقشة قرار «محكمة العدل الدولية»، بهدف إعلانه خلال زيارة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، للمنطقة، والتي ستبدأ غداً، وتمتدّ 4 أيام، وستشمل السعودية ومصر وقطر والكيان ورام الله. كما يدفع الأميركيون في اتجاه إدخال تعديلات على ورقة باريس، تقضي بتمديد الهدن المفترضة لأطول فترة ممكنة، ربطاً بكون «المقاومة لا تملك ضمانات حول التزام العدو بالصفقة، ولذلك هي تريد وضع ضوابط من جانبها». ومن بين التعديلات المقترحة، تمديد العملية لتصبح على 4 مراحل (بدلاً من 3)، هي الآتية:
- الأولى: كبار السن والنساء والأطفال.
- الثانية: المجنّدات.
- الثالثة: العسكريّون من الرجال.
- الرابعة: جثث جنود العدو ومستوطنيه.

ويُصار في المرحلة الأولى إلى إطلاق سراح كبار السن والنساء والأطفال (حوالي 36 شخصاً)، مقابل نحو 3 آلاف أسير فلسطيني، بينهم من اعتُقل بعد 7 تشرين الأول، سواء في قطاع غزة وغلافه، أو في الضفة الغربية والقدس، إضافة إلى الأسرى الذين سبق أن حُرّروا في صفقة «وفاء الأحرار» (شاليط) عام 2011، ثم أعاد العدو اعتقالهم، والمرضى وكبار السن من الذين يقضون محكوميات عالية. وبحسب مصدر متابع للمفاوضات، فإن «البحث في الضمانات وآليات التنفيذ، اشتمل على فكرة أن تُطلق المقاومة أسيراً واحداً كل يوم، مقابل 100 أو 150 أسيراً فلسطينياً»، خصوصاً أن «عملية التبادل السابقة أظهرت أن الآلية التنفيذية معقّدة، ولذا، فالمقاومة لا تريد ترك أي مجال لأي مناورة إسرائيلية». ووفق المصدر نفسه، فإن «العدو لا يزال يحاول الحصول مُسبقاً على قائمة كاملة من جانب المقاومة بكل الأسرى الموجودين لديها، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً. وإن إسرائيل تصرّ على مطابقة اللائحة المُقدّمة من قبل المقاومة، مع لائحة المفقودين لديها»، وذلك بهدف إلزام حركة «حماس» بالحصول مُسبقاً على موافقة جميع الفصائل على الصفقة، وصولاً إلى أن يصبح جميع الأسرى في قبضتها وحدها. لكن مصدراً فلسطينياً يوضح أن «هذا الأمر غير ممكن لأسباب مختلفة، وأن هنالك قضية يتجاهلها العدو، تتعلّق بالجثث، حيث إن عدداً من الأسرى قُتلوا في غارات إسرائيلية، وربّما لا يزالون تحت الأنقاض، والمقاومة تحتاج إلى وقت كافٍ للوصول إلى جثثهم، علماً أن بعضهم قُتلوا مع المجموعات التي كانت تتولّى رعايتهم، والانتقال بهم من مكان إلى آخر، بحسب الظروف، قبل أن ينقطع الاتصال معها منذ وقت ليس بقصير».

(أ ف ب)

أما بشأن المراحل التالية، فإن «المقترح يقول بأن تمتدّ كل فترة هدنة لنحو 35 يوماً، على أن تضمن الولايات المتحدة أن لا تقوم إسرائيل بأي خرق لوقف إطلاق النار، وأن تعمل على سحب قوّاتها من المدن والأحياء خلال هذه المدة». لكن، بحسب المصادر، فإنه «لا حديث عن انسحاب كامل من القطاع حالياً». وتنقل المصادر عن الوسطاء من مصر وقطر، قولهم إنهم «يسمعون كلاماً أميركياً عالي النبرة، بأنه لن تكون هناك عودة إلى الحرب، وأن الحكومة الإسرائيلية ستكون في وضع يُلزمها بالبحث عن مخرج»، فيما يكرّر الوسطاء، بدورهم، «أمام فصائل المقاومة أن إعلان وقف الحرب وفكّ الحصار وإطلاق عملية إعادة الإعمار، يجب أن يسبق كلّ ذلك اتفاقٌ سياسي على مستقبل الوضع في غزة». ومن هنا، عاد المصريّون إلى طرح فكرة تشكيل «حكومة تكنوقراط»، لا يكون لـ«حماس» أي تمثيل فيها، وأن تكون مكوّنة من شخصيات «مقبولة شعبياً»، و«قادرة على التواصل مع العالم الخارجي لأجل إطلاق خطة الإعمار».

ويوم أمس، أكّد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية، والأمين العام لحركة «الجهاد الإسلامي»، زياد النخالة، أن «دراسة المقترح الجديد ترتكز على أساس أن تُفضي أي مفاوضات إلى: إنهاء العدوان كلّياً وانسحاب جيش الاحتلال إلى خارج القطاع، ورفع الحصار والإعمار وإدخال كلّ متطلبات الحياة لشعبنا، وإنجاز صفقة تبادل متكاملة». كذلك، جرى تواصل بين هنية ونائب الأمين العام لـ«الجبهة الشعبية»، جميل مزهر، حيث تمّ تأكيد الموقف نفسه.
(الأخبار)

حروب «اليوم التالي»: إسرائيل تريد خروجاً مشرّفاً

يحيى دبوق

يبدو أن دولة الاحتلال وحركة «حماس» تقتربان من بلورة اتفاق تبادل أسرى، من شأنه أن يؤدي إلى نوع من وقف إطلاق النار، تحت مسميات وفي ظلّ هوامش مناورة مختلفة، تتيح لكلّ من الجانبين تقديم صورة انتصار خاصة به. على أن أهمّ ما في الاتفاق، والذي لم يتبلور حتى الساعة، رغم تفاؤل الوسطاء - أي الولايات المتحدة وقطر ومصر -، يكمن في تفاصيله، التي لا تزال مدار أخذ وردّ وسط سقوف عالية جداً، علماً أن السقوف الفلسطينية أعلى بطبيعة الحال، ربطاً بفشل العدو في تحقيق أهداف الحرب، ووصول عمليته العسكرية إلى حائط مسدود، وهي السمة التي لن تغادر الوعي الجمعي العام، على المقلبَين على السواء، في اليوم الذي يلي الحرب.

وعلى هذه الخلفية، يبدو المشهد الإسرائيلي مشبعاً بالتناقضات، إذ إن ممثلي دولة الاحتلال، أي رئيسَي جهازَي «الشاباك» و«الموساد»، أعطيا موافقتهما على الخطوط العامة للاتفاق في اجتماع باريس، وهو ما لا يمكن أن يُصدر عنهما، من دون تنسيق مع رأس الهرم السياسي. لكن هذا الأخير، المتمثّل في رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، سارع إلى إطلاق لاءاته في كلّ ما يتعلق بالصفقة العتيدة: لا انسحاب من قطاع غزة، لا إطلاق سراح لأسرى فلسطينيين بالآلاف، ولا وقف تامّاً للحرب. ولربما يمكن فهم ذلك التناقض ربطاً بالتجاذب السياسي في الداخل الإسرائيلي من جهة، والتجاذب مع «حماس» نفسها من جهة أخرى؛ إذ يحرص نتنياهو على عدم إغضاب حلفائه من الفاشيين في الائتلاف الحكومي، في هذه المرحلة، وخصوصاً أن الحرب الداخلية بدأت للتوّ، فيما يرى أيضاً أنه لا حاجة إلى «طمأنة حماس»، ودفعها إلى مزيد من التصلّب في المواقف التفاوضية. وعليه، يبدو أن جزءاً من تدوير الزوايا، حصل بالفعل: بدلاً من وقف دائم لإطلاق النار، لا قدرة ولا نية لدى إسرائيل للموافقة عليه، يُصار إلى تجزئة صفقة التبادل على مراحل تنفيذ متباعدة، كلّ منها تقابل بهدنة تامة على الأرض، بما مجموعه أشهر هدوء طويلة، هي في النتيجة وقف للنار من دون إعلان. وبشأن الانسحاب من قطاع غزة، وتحديداً من الحزام الأمني الذي تريد إسرائيل تثبيته بعمق كيلومتر إلى كيلومترين على تخوم القطاع، في شماله ووسطه وصولاً إلى أقصى جنوبه، يمكن تصور «الحلول الإبداعية» التي لم تُطرح حتى الآن على طاولة التفاوض، ومن بينها إمكانية السيطرة الإسرائيلية على هذه المناطق بالنيران عن بعد، مع السماح لسكانها ومزارعيها بالدخول إليها، ضمن صيغة أو أخرى، تتيح لكلّ من الجانبين بلورة رواية انتصار بالنقاط، في هذا الحيّز تحديداً. أما في ما يتعلّق باشتراط «حماس» عودة اللاجئين وإيواءهم، فالأموال العربية، وتحديداً القطرية، جاهزة لتلبية المطلب، وإن كان القبول الإسرائيلي بذلك، سيكون، على الأرجح، مشروطاً بسلة تنازلات وضوابط تُفرض على الجانب الفلسطيني. وعلى المنوال نفسه، يمكن إيجاد حلول لبقية نقاط الخلاف، علماً أن أي اتفاق لا يشمل المكلفة، وهو ما يعزّز بدوره حظوظ الصفقة العتيدة.

تسير إسرائيل بتثاقُل نحو وقف الحرب، وإن من دون إقرار بذلك

وإذ يُتوقّع أن يؤدي استمرار سيطرة حركة «حماس» على قطاع غزة إلى إفساد كلّ المخططات التي وُضعت لليوم الذي يلي، من إسرائيل وغيرها، فإن الحروب التي سيخوضها الجانبان، في مرحلة ما بعد القتال، ستكون أقسى من الحرب الحالية نفسها، وخصوصاً أنه ستُضاف إليها مواجهات بينية على جبهات أخرى، في مقدّمتها الجبهة الداخلية الإسرائيلية التي يُرجّح استعارها بشكل أكبر في المرحلة القادمة، في ظلّ رفض المتطرفين الإقرار بالواقع. وهو إنكارٌ يجلّيه مثلاً قول عدد من مسؤولي الصف الأول في تل أبيب إن «الحرب ستستمر أشهراً وسنوات وربما جيلاً كاملاً»، علماً أن وعداً كهذا لا يفعل أكثر من تأكيد الفشل نفسه في كسر حركة «حماس»، والذي لن تغيّره استطالة الحرب لسنوات.

هدفي «إزالة حكم حماس، وحماس نفسها» سيعني بداهة في وعي الرأي العام انكسار إسرائيل في الحرب.

على أيّ حال، تسير إسرائيل بتثاقُل نحو وقف الحرب، وإن من دون إقرار بذلك، نتيجة معادلة باتت شديدة الوضوح: ثمّة جهة مقتدرة مادياً، مع قدرات عسكرية هائلة وسيطرة تامة ودعم خارجي غير محدود، تفشل في كسر حركة مقاومة محدودة الإمكانات، على رقعة جغرافية صغيرة ومحاصرة. وهذا الفشل هو الذي سيُترجَم في أيّ اتفاق محتمل، وإن ظلّ الطرف المهزوم يسعى إلى أن يبلور ما يمكنه تقديمه بمثابة «صورة انتصار»، أمام جمهوره وجمهور أعدائه، وحلفائه أيضاً، ربّما عبر رفع الإنجازات التكتيكية، ظاهرياً، إلى مرتبة الإنجازات الإستراتيجية، علماً أنه حتى ما جرى إنجازه تكتيكياً في سياق الحرب، باتت تقضمه المراوحة الميدانية

مصر تستعدّ لاستقبال الفصائل: تفاؤل بهدنة قريبة

القاهرة - الأخبار

في وقت يُنتظر فيه ردّا حركة «حماس» ودولة الاحتلال على المقترح الناتج من اجتماع باريس الرباعي بشأن صفقة تبادل أسرى محتملة، واصلت مصر اتصالاتها المكثفة، في الأيام الثلاثة الماضية، لتطوير المسوّدة الأولية، وفقاً لما نقلته مصادر مطلعة إلى «الأخبار»، مشيرة إلى أن القاهرة تبدي قناعتها بـ«إمكانية التوصل إلى هدنة إنسانية في قطاع غزة، بحلول الأسبوع المقبل». وبحسب المصادر، فإن من بين النقاط العالقة بشأن الصفقة، أسماء الأسرى الفلسطينيين المطلوب الإفراج عنهم، في مقابل عدد من العسكريين الإسرائيليين، إضافة إلى ما ستقدّمه واشنطن من ضمانات لعدم تجدّد الحرب على قطاع غزة، بعد تسليم عدد ليس بالقليل من الأسرى الإسرائيليين، في مقابل الإفراج عن آلاف الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال. وتُضاف إلى النقاط «الخلافية» التي أوردتها المصادر أيضاً، مسألة «تحرّك الهدنة عبر مراحل وليس مرة واحدة»، فضلاً عن أعداد الشاحنات التي ستدخل إلى غزة بشكل يومي في مدة الهدنة. وبحسب المعلومات، تخطّط مصر لاستقبال وفدين كبيرين من حركتَي «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، بالتزامن مع استقبال آخر من السلطة الفلسطينية، لمناقشة مقترحات «ما بعد الحرب»، وسط تفاؤل مصري بإمكانية الإعلان عن وقف لإطلاق النار بالتزامن مع الزيارة المتوقعة لوزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، إلى المنطقة، السبت المقبل.

وعلى خطّ موازٍ، وفي ظلّ الحديث الإسرائيلي عن اتفاق مع مصر بخصوص معبر «فيلادلفيا»، علمت «الأخبار» أن مصر جدّدت تحذيرها السلطات الإسرائيلية، من تنفيذ عملية عسكرية في منطقة رفح، باعتبار ذلك «تهديداً لأمن مصر القومي، ويستوجب تحركاً فورياً من قِبلها». كما أبدت القاهرة «مخاوفها» من سيناريو «اقتحام أكثر من 1,5 مليون شخص من المتواجدين في المنطقة، الشريط الحدودي»، إثر أي عملية عسكرية هناك، وهو الأمر الذي «يستحيل قبوله» مصرياً. كذلك، شدّد المسؤولون المصريون، أمام نظرائهم الإسرائيليين، على ضرورة «أن لا تتجاوز أيّ تحركات على محور فيلادلفيا، الشريط الحدودي، وأن لا تترافق مع تواجد أكبر من المتفق عليه لقوات الاحتلال». كما أكدوا أن «التنسيق السابق جرى بشكل مؤقت، ولا يمكن فرضه بشكل مستدام»، وجدّدوا «التمسّك المصري بإبقاء الوضع في المحور وفقاً للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين، من دون تعديل إلى حين توقف العدوان»، على أن يتمّ الاتفاق اللاحق بشأنه بـ«مشاركة الجانب الفلسطيني». أيضاً، حذر المصريون، الجانب الأميركي، من أن «أي تحرك إسرائيلي منفرد ستكون تداعياته كارثية على مختلف الأطراف، ويخالف الرسائل التي تحاول الولايات المتحدة البعث بها إلى المنطقة».

وفي السياق نفسه، جرت اتصالات مصرية - أميركية، أمس، لمناقشة مطالب إسرائيلية بتنسيق تحركات مصرية على الجانب الآخر من محور فيلادلفيا، بالتزامن مع التحركات الإسرائيلية، لـ«ضمان عدم حدوث اختراقات للشريط الحدودي». إلا أن المسؤولين المصريين أبدوا رفضهم للمقترح الإسرائيلي، معتبرين أنه «سيكون عديم الجدوى في حال حدوث أي اختراقات من النازحين نتيجة التحركات الإسرائيلية»، كون «رجال حرس الحدود المصريين لن يقوموا بإطلاق النار على أي فلسطيني من القطاع». وجدد المسؤولون المصريون مطالبتهم بـ«الإسراع في تنفيذ خطوات لتأمين المحور»، وسط تأكيد رفض «إحداث أي تغيير في الوضع الديموغرافي» هناك.

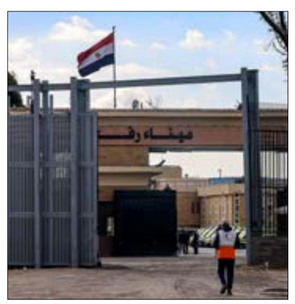
تخطط مصر لاستقبال وفدين كبيرين من حركتَي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» (أ ف ب)

يوم «الكمائن القاتلة»: العدو يهدّد بالانتقال إلى رفح

غزة - يوسف فارس

عادت الدبابات الإسرائيلية، أمس، للتوغّل في عمق مدينة غزة مجدّداً، وتحديداً في محيط منطقة مفترق السراي ومنطقة الجامعات ودوار الصناعة، في الوقت الذي فكّكت فيه قوات العدو كلّ مواقعها العسكرية في القاطع الشمالي الغربي لشمال وادي غزة، وأعاد جيش الاحتلال تموضعه في قاعدة «زيكيم» العسكرية، مخلياً لأول مرة منذ بدء الحرب البرية، مساحة واسعة كانت تشكّل طوال مدة العملية، خط الإمداد وموقع القيادة والتخييم الرئيسي في كلّ مناطق شمال الوادي. أما في جنوب القطاع، فقد نفّذت قوات العدو عدة انسحابات من المناطق الغربية لمدينة خانيونس، وتحديداً من جامعة الأقصى، ومنطقة المواصي، فيما تواصل الضغط في المناطق الغربية المحيطة بمستشفَيَي «ناصر» و«الأمل». وفي شرق المدينة، يواصل العدو تفجير مربّعات سكنية في منطقة قيزان النجار شرق المحافظة، كما يواصل الطيران الحربي استهداف العشرات من المنازل الآمنة.

أما على الصعيد الميداني، فيستحق يوم أمس، أن يُسمى يوم «الكمائن القاتلة»، إذ استطاعت كلّ من «سرايا القدس» و«كتائب القسام»، تنفيذ كمينَين، الأول لـ«السرايا» في جنوباً، فيما نُفّذت كلّ من «السرايا» و«الكتائب»، عمليات استهداف مركّزة للدبابات المتوغّلة في جنوب القطاع. كما أعلنت «السرايا»، استهداف قوات راجلة كانت تتحصّن خلف السواتر الترابية، شرق مخيم جباليا، بقذائف «هاون» من العيار الثقيل. وكانت كلّ من «كتائب القسام» و«سرايا القدس»، قد نفّذت، أول من أمس، نحو 10 عمليات قتالية، حيث وزّعت الكتائب مشاهد مصوّرة تظهر تنفيذ عملية قنص في منطقة خانيونس، وتفجير نحو 5 دبابات للعدو في محاور القتال في مدينة غزة. وعلى وقع هذا الزخم الميداني، أعلن جيش العدو سحب «اللواء 55» احتياط، واستبداله بقوات بديلة.

زخم ميداني

وخلال اليومين الماضيين، كان زخم عمل المقاومة الميداني لافتاً، وذلك تزامناً مع زيادة الحديث عن صفقة تبادل الأسرى المرتقبة، حيث أعلنت المقاومة تنفيذ نحو 30 مهمة قتالية تنوّعت ما بين تدمير دبابات، وقنص جنود، وكمائن محكمة، والتحامات مباشرة، وإطلاق لقذائف «هاون» ورشقات صاروخية قصيرة المدى على تحشّدات العدو. وفي هذا السياق، أعلنت «كتائب القسام» أنها نفّذت، يوم أمس وحده، تسع عمليات استهداف للدبابات الإسرائيلية، خمس منها في جنوب القطاع، وأربع في شماله. كذلك،

اجتياح دبابات العدو رفح قد يؤدي إلى حدوث مجازر تفوق تلك التي حدثت حتى الآن

أعلنت «سرايا القدس» تفجير ثلاث دبابات إسرائيلية في محور القتال جنوباً، فيما نفّذت كلّ من «السرايا» و«الكتائب»، عمليات استهداف مركّزة للدبابات المتوغّلة في جنوب القطاع. كما أعلنت «السرايا»، استهداف قوات راجلة كانت تتحصّن خلف السواتر الترابية، شرق مخيم جباليا، بقذائف «هاون» من العيار الثقيل. وكانت كلّ من «كتائب القسام» و«سرايا القدس»، قد نفّذت، أول من أمس، نحو 10 عمليات قتالية، حيث وزّعت الكتائب مشاهد مصوّرة تظهر تنفيذ عملية قنص في منطقة خانيونس، وتفجير نحو 5 دبابات للعدو في محاور القتال في مدينة غزة. وعلى وقع هذا الزخم الميداني، أعلن جيش العدو سحب «اللواء 55» احتياط، واستبداله بقوات بديلة.

رفح مجدّدا

في الأثناء، تفاعل تهديد وزير جيش الاحتلال، يوآف غالانت، أول من أمس، بالتوجه إلى مدينة رفح لاجتياحها، بعد انتهاء العمليات القتالية في مدينة خانيونس. وينطوي توسيع العملية في المدينة الجنوبية الواقعة على الحدود مع مصر، على جملة من المخاطر، أولها، أنها تزدحم بأكثر من مليون نازح فرّوا من مناطق القتال في شمال القطاع ووسطه وجنوبه، وأن خيام المهجّرين أضحت ملاصقة للشريط الحدودي الفاصل مع مصر، أي في منطقة محور «فيلادلفيا» الذي كرّر وزير جيش العدو التشديد على أهمية العمل على بناء جدار تحت أرضي فيها، يحول دون تنفيذ عمليات تهريب سلاح إلى المقاومة. ويُخشى في حال اجتياح دبابات العدو المدينة التي قُصفت مشارفها، أمس، من حدوث مجازر تفوق تلك التي حدثت حتى الآن، باعتبار أن رفح كانت الملاذ الأخير للفارّين من حملات القصف الوحشية، فيما لم يعد ثمة مكان يفر إليه اللاجئون، إلا تسلّق السياج الحدودي مع مصر.

وفي هذا السياق، كتبت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية أن إسرائيل قدّمت مقترحاً للسلطات المصرية يتمثل في وضع أجهزة تكنولوجية متطوّرة فوق المحور من الجانب الإسرائيلي، يمكن لها أن تكشف تحركات الفلسطينيين الذين يحاولون الاقتراب من الحدود والانتقال إلى سيناء، أو تهريب السلاح والمعدات العسكرية. وأضافت أنه من المقرر أن ينتشر 750 شرطياً مصرياً على الجهة المصرية من «فيلادلفيا». ومن وجهة نظر ميدانية، فإن العمل على بناء جدار تحت أرضي، من الجانب الفلسطيني من الحدود، دونه جملة من العقبات، أولاها، المدة الزمنية الكبيرة التي يحتاج إليها مجهود كهذا، وأيضاً، التكلفة المادية المرتفعة، خصوصاً أن إنجاز جدار مماثل على الحدود الشرقية للقطاع، تطلّب 5 سنوات من العمل، وهو لا يتجاوز الـ40 كيلومتراً، ما يعني أن تشييد الجدار على الحدود المصرية بحاجة إلى نصف تلك المدة على الأقل.

مليون نازح في رفح ليس لديهم مكان يفرون إليه إذا اجتاحت الدبابات الإسرائيلية المدينة (أ ف ب)

طوفان الأقصى

جولة في حيّ العامودي: «كرامتنا هان»

غزة - **يوسف فارس**

ثلاثة أيام كانت قد مضت على السابع من أكتوبر، حين أُنذر الآلاف من سكان حيّ العامودي الذي يقع في القطاع الغربي لمحافظة شمال غزة، بإخلاء منازلهم على الفور، عبر تهديدات باتصالات هاتفية من ضباط جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، أو من خلال منشورات ورقية أُلقيت من الجو، ثم بالقصف المدفعي العنيف. ووفقاً لاتصال تلقّاه أبو محمد الضبع، فإن الضابط التي يتحدّث اللغة العربية بطلاقة، أخبره، في حديثه معه الساعة الثالثة فجراً، بأن منزله يقع في منطقة عمليات خطيرة وكبرى، وبأن عليه أن يخليه على الفور. منذ فجر ذلك اليوم، وحتى يوم أمس الجمعة، لم يتمكّن الرجل الخمسيني من العودة إلى منزله حتى خلال وقف إطلاق النار المؤقت، الذي استمرّ مدة سبعة أيام. أمس، عاد مَن لم ينزح من سكان الحيّ إلى جنوب القطاع، لتفقّد المنازل التي غابوا عنها نحو 120 يوماً، بعد الانسحاب الكبير الذي تراجعت فيه الدبابات الإسرائيلية حتى موقع «زكيم»، أقصى شمال بلدة بيت لاهيا.

> يصيبك المشهد الذي ستراه وأنت تقف على تلّة مرتفعة مجاورة لحيّ السلاطين، وتكشف حيّ العامودي، بالخشوع

يصيبك المشهد الذي ستراه وأنت تقف على تلة مرتفعة مجاورة لحيّ السلاطين، وتكشف حيّ العامودي، بالخشوع: آلاف المنازل التي كانت تُحجب مشهد البحر، سُوّيت بالأرض تماماً. «العامودي»، الحيّ حديث البناء، لم يكن قبل عشر سنوات ماهولاً بأيّ بناية سكنية، غير أن الاكتظاظ السكاني في الأحياء التقليدية، تسبّب بالتمدّد إليه. يقول أبو محمد: «كنت أسكن في مخيم جباليا، تمدّدت العائلة، وصار عليّ أن أبني منزلاً جديداً من عدّة طبقات لأؤمّن مستقبل أبنائي. اشتريتُ قطعة أرض هنا، لأنها أجمل مناطق شمال القطاع، أرض مرتفعة، تطلّ على البحر، وسكانها من الموظفين أو كبار التجار. لم نكن نتوقّع أن هذا الحيّ سيكون عرضة لكل هذا القدر من التدمير». يتابع الرجل حديثه إلى «الأخبار»: «دخلتُ المنطقة، والله لم أعرف الشارع الذي كنت أعيش فيه، آلاف الوحدات السكنية والمنازل فيما المنازل التي لم تُنسف بالديناميت أو بالغارات الجوية، خُرّبت تماماً. على باب فيلا من عشرات تعرّضت للتخريب في المنطقة الشمالية للحيّ، كان يجلس أبو صبري عقل. يقول لـ«الأخبار»: «أنا تاجر، سكنت في مكان بعيد عن الاكتظاظ السكاني، لأنو نسق حياتي محصور في العائلة الصغيرة والعمل. كل المنازل الجميلة التي تحيط بي، سكانها من أمثالي، الفيلا الخاصة بي لم تُدمَّر بالقصف، إنّما دخلها الجنود، وسكنوها، ثم حرقوها، وتركوا لي على باب المنزل تذكاراً نجمة داود وتحتها باللغة العربية: ارحل».

تختفي المعالم الطوبوغرافية تماماً في الحي (أ ف ب)

عملية تدمير الحيّ، الذي لن تجد فيه منزلاً واحداً يمكن استصلاح غرفة واحدة منه، تشير إلى أن الهدف يتجاوز الحاجيات العسكرية، إلى مضامين أكثر عمقاً، إذ من المهمّ أن يطبّق جيش الاحتلال ما كان يهذي به الصحافيون الإسرائيليون في الأيام الأولى من الحرب: «لن تجدوا منازل تسكنونها عندما تعودون بعد الحرب (...) ستتقلّص مساحة غزة». من المهمّ هنا، أن توفّر هذه الحرب كل الظروف المنطقية للرحيل؛ ولذا، يقول أبو مهند المصري: «دمّروا كل مزارع الدجاج، وكل بيوت العائلة، عدت وأنا في سنّ الستين على الحديدة. بدهم يطفّشونا من البلد، خابوا وخسروا، تحت خيمة نايلون بسكن أنا وزوجتي وولادي وما بسيب هالأرض، كرامتنا هان، وإلي بعيش بعمر وبشم».

أمّا محمد بعلوشة، وهو موظف حكومي، دُمّر منزله أيضاً، فيرى، في حديثه إلى «الأخبار»، أن رسالة الدمار، والسماح للأهالي برؤية منازلهم دون استهدافهم، هي أن تغادر هذا الأرض. ويستدرك: «الحقيقة، هم لا يفهموننا، ولا يقدّرون قدر الجَلَد والصبر الذي يمكن أن نبذله في سبيل الحياة الكريمة، أو الموت الكريم».

سُوّيت بالأرض، وخطّ الجنود على جدرانها عبارات استفزاز بالعبرية، ورسموا نجمة داود».

في «العامودي»، تختفي المعالم الطوبوغرافية تماماً، حيث الشوارع مغلقة بالأبنية والعمارات السكنية، فيما المنازل التي لم تُنسف بالديناميت أو بالغارات الجوية، خُرّبت تماماً. على باب فيلا من عشرات تعرّضت للتخريب في المنطقة الشمالية للحيّ، كان يجلس أبو صبري عقل. يقول لـ«الأخبار»: «أنا تاجر، سكنت في مكان بعيد عن الاكتظاظ السكاني، لأنو نسق حياتي محصور في العائلة الصغيرة والعمل. كل المنازل الجميلة التي تحيط بي، سكانها من أمثالي، الفيلا الخاصة بي لم تُدمَّر بالقصف، إنّما دخلها الجنود، وسكنوها، ثم حرقوها، وتركوا لي على باب المنزل تذكاراً نجمة داود وتحتها باللغة العربية: ارحل».

عملية تدمير الحيّ، الذي لن تجد فيه منزلاً واحداً يمكن استصلاح غرفة واحدة منه، تشير إلى أن الهدف يتجاوز الحاجيات العسكرية، إلى مضامين أكثر عمقاً، إذ من المهمّ أن يطبّق جيش الاحتلال ما كان يهذي به الصحافيون الإسرائيليون في الأيام الأولى من الحرب: «لن تجدوا منازل تسكنونها عندما تعودون بعد الحرب (...) ستتقلّص مساحة غزة». من المهمّ هنا، أن توفّر هذه الحرب كل الظروف المنطقية للرحيل؛ ولذا، يقول أبو مهند المصري: «دمّروا كل مزارع الدجاج، وكل بيوت العائلة، عدت وأنا في سنّ الستين على الحديدة. بدهم يطفّشونا من البلد، خابوا وخسروا، تحت خيمة نايلون بسكن أنا وزوجتي وولادي وما بسيب هالأرض، كرامتنا هان، وإلي بعيش بعمر وبشم».

أمّا محمد بعلوشة، وهو موظف حكومي، دُمّر منزله أيضاً، فيرى، في حديثه إلى «الأخبار»، أن رسالة الدمار، والسماح للأهالي برؤية منازلهم دون استهدافهم، هي أن تغادر هذا الأرض. ويستدرك: «الحقيقة، هم لا يفهموننا، ولا يقدّرون قدر الجَلَد والصبر الذي يمكن أن نبذله في سبيل الحياة الكريمة، أو الموت الكريم».

قصف يمني متجدّد على «إيلات»
صنعاء تستعدّ لتوسّع الحرب

صنعاء - **رشيد الحداد**

خلافاً للرسائل التي تبعث بها واشنطن ولندن عبر وسطاء إقليميين ودوليين حول عدم نيتهما التصعيد مع صنعاء، جدّد الطيران الأميركي والبريطاني، أمس، عدوانه على محافظة حجّة. ووفقاً لمصادر محلية، فإن أربع غارات جديدة استهدفت مناطق خالية في منطقة الجرّ في مديرية عبس. ثم بعد دقائق، عاود الطيران التحليق، وشنّ ثلاث غارات جوية على المنطقة نفسها. وقالت مصادر يمنية، لـ«الأخبار»، إن المناطق التي استُهدفت هي مزارع ليس فيها أيّ وجود عسكري، مشيرة إلى أن الطيران الأميركي التجسّسي ظلّ يحلّق على علوّ مرتفع منذ فجر أمس، في أجواء أكثر من منطقة في مديرية عبس وحتى مبدي، وهو ما يعكس نيات أميركا في التصعيد. وبعيد ذلك، أعلن الناطق باسم القوات المسلّحة اليمنية، العميد يحيى سريع، أنها نفّذت عملية عسكرية بصواريخ باليستية نحو أم الرشراش (إيلات) في فلسطين المحتلة. وقال جيش الاحتلال أنه اعترض صاروخاً باليستياً فوق البحر الأحمر، مستخدماً صاروخ «أرو».

وتزامن العدوان الأميركي - البريطاني الجديد، مع احتشاد عشرات الآلاف من أبناء محافظة حجّة في نحو 20 ساحة احتشاد في مسيرة دعت إليها «لجنة نصرة الشعب الفلسطيني» في صنعاء، تحت شعار «مع غزة حتى النهاية». وجرت إحدى تلك الفعاليات التضامنية في عبس أثناء استهداف ضواحيها، من دون تسجيل أي إصابات. كذلك، شهدت العاصمة والمحافظات الواقعة تحت سيطرة حركة «أنصار الله» مسيرات مليونية حاشدة أكدت دعمها للقوات البحرية اليمنية ومساندتها الشعب الفلسطيني. وبارك بيان موحّد صادر عن المشاركين في المسيرات، العمليات البطولية الجهادية في فلسطين ولبنان والعراق واستمرار قصف المدن الفلسطينية المحتلة، وفي مقدمتها تل أبيب. كما أيّد استمرار عمليات القوات صنعاء البحرية ضد السفن الإسرائيلية والأميركية والبريطانية، حتى يتوقّف العدوان ويُرفع الحصار عن أهالي قطاع غزة.

من جهتها، أكدت مصادر مقرّبة من «أنصار الله»، لـ«الأخبار»، أنّ صنعاء مستعدّة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى لمعركة فاصلة مع الأميركيين والبريطانيين في البحر الأحمر، مشيرة إلى أن كل المؤشّرات على الأرض «تؤكد أن واشنطن تدفع نحو اتّساع رقعة الحرب، وليس العكس كما يزعم الجانب الأميركي». وفي إطار الاستعدادات للمعركة الكبرى التي تحدثت عنها وزارة الدفاع اليمنية في أكثر من تصريح، تمكّنت القوات المسلحة اليمنية، منذ السابع من تشرين الأول الماضي وحتى الأسبوع الفائت، من تدريب أكثر من 165 ألف مقاتل من أبناء القبائل في إطار «قوات التعبئة والإسناد الشعبي» استعداداً للمشاركة في معركة تحرير فلسطين، أو مواجهة أيّ تداعيات ناتجة من ثبات موقف صنعاء المساند لغزة في البحر الأحمر.

وفي هذا الإطار، أكد مصدر عسكري مطّلع في صنعاء، لـ«الأخبار»، أن «الشعب اليمني كله مسلّح ومقاتل ويمتلك وفق الإحصائيات أكثر من 60 مليون قطعة سلاح، ويجيد استخدام الأسلحة الخفيفة والمتوسطة»، مضيفاً أن «دورات التدريب التي تجريها القوات المسلّحة تهدف إلى تزويد المتدرّبين بالمزيد من المهارات القتالية وتعدّهم بشكل منظّم لأيّ مواجهة محتملة في ظل التصعيد الأميركي - البريطاني ومحاولات تحريك أدوات الداخل لتفجير الأوضاع». وخلال الأسابيع الماضية، شهد عدد من المناطق العسكرية في مأرب والجوف مناورات عسكرية تحت شعار «طوفان الأقصى» و«على طريق القدس ماضون»، تحاكي مهاجمة أهداف افتراضية للعدوّ الصهيوني وحليفيه الأميركي والبريطاني، عكست مستوى الجاهزية، والمهارات القتالية المكتسبة. كما أن قوات الحماية الرئاسية نظّمت مسيرة شارك فيها الآلاف من منتسبيها من محافظة البيضاء إلى محافظة مأرب تحت شعار «طوفان الأقصى».

> يتوقّع ازدياد التكدّس في موانئ الحاويات الأميركية مع تغيير مسار الشحنات لتجنّب البحر الأحمر

الشعب اليمني يمتلك أكثر من 60 مليون قطعة سلاح (أ ف ب)

من جهة أخرى، وفي ما يتعلق بتأثر حركة النقل في البحر الأحمر جراء المواجهة الدائرة هناك، أعلنت وزارة النقل الأميركية أن شركات شحن أبلغتها أنها «تتوقّع زيادة التكدس في بعض موانئ الحاويات الأميركية في الأسابيع الأربعة إلى الستة المقبلة، مع تغيير مسار الشحنات لتجنّب البحر الأحمر». وأوضحت الوزارة أن أصحاب الشركات نقلوا مخاوفهم في مكالمة مع مكتب الشحن المتعدد الوسائط التابع لها، ركزت على مشكلات سلاسل التوريد الناجمة عن الوضع في البحر الأحمر. أيضاً، نقلت وكالة «رويترز» عن محلّلين أنه جرى تحويل المزيد من السفن المحمّلة بالحبوب من قناة السويس إلى مسارات حول رأس الرجاء الصالح هذا الأسبوع، مع استمرار الهجمات على السفن في البحر الأحمر. وعادةً ما يمرّ نحو سبعة ملايين طن متري شهرياً من شحنات الحبوب عبر قناة السويس إلى البحر الأحمر، لكن ذلك الرقم انخفض بشكل كبير مع استمرار القوات المسلحة اليمنية في شنّ هجماتها على السفن الإسرائيلية وتلك المتجهة إلى إسرائيل، كما الأميركية والبريطانية.

كذلك ذكر مصدر مطّلع أن مجموعة «سي. إم. إيه. سي. جي. إم.» الملاحية الفرنسية علّقت أمس عبور سفنها في مضيق باب المندب في الاتجاهَين بسبب مخاطر أمنية.

إسرائيل «تطنّش» عقوبات أميركا: مخطّط لـ7000 مستوطنة جديدة

رام الله - **أحمد العبد**

لم تمرّ ساعات على إصدار الرئيس الأميركي، جو بايدن، مساء الخميس، أمراً تنفيذياً يهدف إلى معاقبة المستوطنين الذين يهاجمون الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة، حتى جاء الردّ بالإعلان عن عقد اجتماع لمناقشة مخطّط لبناء 7000 وحدة استيطانية وشرعنة بؤر عشوائية في الضفة. وإذا كان بايدن يرى أن «الوضع في الضفة، ولا سيما عنف المستوطنين المتطرّفين وتدمير الممتلكات، بلغ مستويات لا تُحتمل، ما يشكّل تهديداً خطيراً للسلام والأمن والاستقرار في الضفة الغربية وغزة وإسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط»، فإن ذلك لم يمنعكس في قراره التنفيذي الذي عاقب 4 مستوطنين فقط، مستثنياً عشرات المسؤولين في حكومة بنيامين نتنياهو، على رغم تحريضهم الواضح على ارتكاب جرائم ضدّ الفلسطينيين.

وبحسب ما سُرّب، فإن وزيرَي الأمن القومي إيتمار بن غفير، والمالية بتسلئيل سموتريتش، كانا على قائمة العقوبات، لكنهما شُطبا في نهاية الأمر، ما يثبت أن الخطوة الأميركية تندرج في سياق التحايل الغربي المستمرّ، وفق ما أكّدته تصريحات منسّق الاتصالات الإستراتيجية في مجلس الأمن القومي الأميركي، جون كيربي، الذي نفى وجود خطط لاستهداف المسؤولين الحكوميين الإسرائيليين بالعقوبات حالياً. ومع ذلك، لم يكتفِ سموتريتش بالقول إن «حملة عنف المستوطنين كذبة معادية للسامية نشرها أعداء إسرائيل بهدف تشويه المستوطنين الأوائل والمؤسّسة الاستيطانية وإلحاق الضرر بهم، وبالتالي تشويه سمعة دولة إسرائيل بأكملها»، بل أوعز إلى مديرية الاستيطان التي شكّلها بنفسه، بعد تعيينه وزيراً مسؤولاً عن الاستيطان في وزارة الأمن، بعقد اجتماع للجنة التخطيط العليا في «الإدارة المدنية» التابعة للجيش، بهدف المصادقة على بناء 7000 وحدة سكنية جديدة في مستوطنات الضفة.

من جهته، ذكر موقع صحيفة «يديعوت أحرونوت»، نقلاً عن رئيس مجلس الكتلة الاستيطانية «غوش عتصيون»، ورئيس مجلس المستوطنات شلومو نئمان، قوله إن لجنة التخطيط العليا لم تجتمع منذ حزيران الماضي، وإن «صمتنا، حتى الآن، نابع من الإدراك أن دولة إسرائيل في فترة معقّدة جداً، فيما العلاقات الإستراتيجية مع الولايات المتحدة تجري بموجب احتياجات الحرب». ولكنه رأى أنه «حان الوقت الآن لإنهاء تجميد البناء وتحريرنا من التوجيهات الأميركية المشينة التي تمنع على ما يبدو البناء» في المستوطنات، مشيراً إلى أن «أيّ وحدة سكنية لا يتمّ تخطيطها هذا العام، لن يتم بناؤها في الأعوام الثلاثة المقبلة. وعلى الحكومة الإسرائيلية ورئيسها أن يدركا أننا وصلنا إلى المرحلة التي سيتلقّى فيها العدو ردّاً ليس في غزة ولبنان فقط، وإنّما في يهودا والسامرة أيضاً». على أن عمل المديرية التي تجتمع بعد موافقة المستوى السياسي الإسرائيلي لن يقتصر على النظر في مخطّطات الوحدات الاستيطانية، بل سيشمل أيضاً شرعنة البؤر الاستيطانية العشوائية في الضفة وزيادة عدد المستوطنين.

> نفّذ المستوطنون، في كانون الثاني الماضي، أكثر من 120 هجوماً واعتداء في الضفة الغربية

أقام المستوطنون تسع بؤر استيطانية في الضفة خلال الأشهر الثلاثة من عمر الحرب (أ ف ب)

وكان عدد من المستوطنين اقتحموا، صباح الخميس، قرية برقة قرب مدينة البيرة، وأقاموا بؤرة استيطانية فيها، بهدف السيطرة على أراض واسعة منها وربطها بمستوطنات مقامة منذ عدة سنوات قرب المدينة، بدعم وحماية من الجيش الإسرائيلي. وبذلك، بات المستوطنون يسيطرون على نحو ألف دونم من أراضي القرية. وهذه البؤرة هي الخامسة التي تقام على أراضي برقة، فيما أهالي القرية باتوا يعيشون في ظلّ حصار مطبق واقتحامات متكرّرة تتخلّلها اعتداءات وحشية واعتقالات واقتحامات، ومنع للأهالي من الوصول إلى حقولهم، وإغلاق لمداخل القرية من قِبل المستوطنين والجنود. أيضاً، نفّذ المستوطنون، في كانون الثاني الماضي، أكثر من 120 هجوماً واعتداءً في الضفة الغربية، بمعدّل 4 اعتداءات يومياً، من بينها قتل طفل وحرق ممتلكات. كما أنه منذ السابع من أكتوبر، هجّر المستوطنون، بدعم من قوات الاحتلال، 22 تجمّعاً بدوياً في الضفة يعيش فيها أكثر من 1500 مواطن، وقتلوا أكثر من 10 فلسطينيين، وبنوا عشرات البؤر الاستيطانية العشوائية في القرى والبلدات.

وكانت إسرائيل قد ألغت في شباط 2023 مشروع قانون «فك الارتباط» لعام 2005، والذي تمّ بموجبه الانسحاب من مستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو ما يعني العودة إلى عدد من مستوطنات الضفة، وتحديداً في مدينة جنين. كما قرر المجلس الوزاري المصغّر (الكابينت) في ذلك الوقت، شرعنة 9 بؤر استيطانية، وتعزيز البنية التحتية والتوجيه بمزيد من البناء في المستوطنات القائمة. ويبلغ عدد البؤر الاستيطانية في الضفة، أكثر من 193، ونحو 50 بؤرة رعوية (رعاة ماشية)، إضافة إلى 176 مستوطنة، بينما أعلنت منظّمة «السلام الآن» الإسرائيلية، في مطلع كانون الثاني الماضي، أن المستوطنين أقاموا تسع بؤر استيطانية في الضفة خلال الأشهر الثلاثة من عمر الحرب، وشُقّت «18 طريقاً جديدة تمّ تعبيدها أو السماح للمستوطنين باستخدامها»، فيما ارتفعت بشكل قياسي أعمال العنف التي ارتكبها مستوطنون في الضفة، العام الماضي.

شكراً أحفاد مانديلا

علي ناصر محمد *

تابعنا كما تابع سكان العالم، بين مؤيد ومعارض، جلسات «محكمة العدل الدولية» في لاهاي بشأن الدعوى التي قدّمتها جنوب أفريقيا ضد الكيان الصهيوني، بتهمة ارتكاب الأخير جرائم إبادة جماعية في غزة والمدن الفلسطينية. فقد سجّلت جنوب أفريقيا وفريقها القانوني برئاسة وزيرة الخارجية، ناليدي باندور، موقفاً سياسياً وإنسانياً إلى جانب القضية الفلسطينية، وفي المقدّمة إلى جانب غزة الإباء والكبرياء، التي سجّلت أروع البطولات في التاريخ العربي والأممي، وتصدّت للحرب براً وبحراً وجواً، وردّت الاعتبار إلى هذه الأمة العربية والإسلامية، دفاعاً عن كرامتها وشرفها ومقدّساتها ضد العدوان الإسرائيلي، الذي يضرب في كل مكان في فلسطين وخارجها ضد الشعب الفلسطيني وقياداته في الماضي والحاضر، وفي مقدّمتهم المناضل الكبير، ياسر عرفات، والشيخ أحمد ياسين، وأبو علي مصطفى، في الداخل. كما طالت اغتيالاته المناضلين أبو جهاد وأبو إياد في تونس، وفي لبنان المناضلين كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار وغسان كنفاني وماجد أبو شرار وصالح العاروري وغيرهم، من دون خوف من العقاب على هذه الجرائم.

نحن اليوم في زمن اختفى فيه الكبار والكبرياء والحياء، بينما استيقظت الشعوب المُحبّة للسلام على صوت الأبطال في غزة والمدن الفلسطينية، والذين ضحّوا بأكثر من 100 ألف بين شهيد وجريح، في أرض لا تزيد مساحتها عن 360 كيلومتراً مربعاً، وتحتضن شعباً لا يزيد عدده عن مليوني نسمة. شعب يتم قتله ومحاولة تهجيره خارج وطنه. هذه الحرب هي دفاع عن الأرض والعرض والمقدّسات وسط صمت رسمي عربي إسلامي ودولي.

أتذكّر لقاءً جمعني بالزعيم الخالد، جمال عبد الناصر، في ليبيا في يونيو 1970، تحدّث فيه عن القضية الفلسطينية والحربين اللتين خاضتهما مصر في 1956 و1967، وحرب الاستنزاف دفاعاً عن مصر وفلسطين والأمة العربية. وقال لي إن الأميركيين عرضوا عليه الانسحاب من سيناء وعودة حقول النفط في أبو ردِيس، مقابل الاعتراف بإسرائيل والتخلّي عن القضية الفلسطينية، ولكنه رفض ذلك. فهو القائد الذي خاض معركة الفالوجا عام 1948، وقال حينها إن «معركتنا لتحرير فلسطين تبدأ من القاهرة».

بعد أن خذل القادة العرب القضية الفلسطينية آنذاك، قاد عبد الناصر عملية التغيير في مصر أثناء ثورة 23 يونيو التي وقفت إلى جانب الشعوب العربية في الجزائر واليمن والخليج والعراق، ووقفت إلى جانب حرية الشعوب الأفريقية وغيرها من الشعوب في آسيا وأميركا اللاتينية. ولكن كان همّه وقلبه مع فلسطين التي دفع من أجلها حياته في 28 سبتمبر 1970.

ما أحوج شعوبنا إلى قادة كبار كعبد الناصر ومانديلا الذي قال إن «حريتنا ناقصة ولا تكتمل من دون تحرير فلسطين»، والملك فيصل الذي كان يردّد دائماً أنه «سيصلي في القدس»، واستُشهد من أجل فلسطين، والشيخ زايد الذي قال إن «النفط العربي ليس أغلى من الدم العربي»، والرئيس هواري بومدين الذي قال «إننا مع فلسطين ظالمة أو مظلومة».

النصر لغزة وللشعب الفلسطيني حتى قيام دولته وعاصمتها القدس.

* الرئيس الأسبق لليمن الجنوبي

طوفان الأقصى

هجمة غربية على جنوب أفريقيا
أميركا تلوّح بالعقوبات

شكّلت جنوب أفريقيا مثالاً استثنائياً في قدرتها على الاستفادة من المتغيّرات الدولية (أ ف ب)

محمد عبد الكريم أحمد

ما إن أصدرت «محكمة العدل الدولية» حكمها الأوّلي في الدعوى التي تقدّمت بها جنوب أفريقيا ضد العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيّين، في 26 كانون الثاني الفائت، والذي مهّد الطريق، عملياً، أمام المضي قدماً في وصم العملية الإسرائيلية بـ«الإبادة»، بدأت بريتوريا تتعرض لعمليات ابتزاز وضغوط خارجية مباشرة، كشف عنها، أخيراً، عددٌ من القيادات في «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي» الحاكم، وهي عمليات لا تخرج عن سياق حملة «النظام العالمي» الأميركي، والتي تهدف، بصورة عامة، إلى حماية قواعد اشتباك الأخير مع دول «الجنوب العالمي»، بما فيها منطقة شرق المتوسط.

استشراف العقوبات الغربية

عقب الإعلان عن الحكم، احتفت قطاعات شعبية وسياسية وإعلامية واسعة، في جنوب أفريقيا، بالانتصار الدبلوماسي الكبير الذي حققه بلدها ضد إسرائيل، التي ينظر إليها، على نطاق واسع في أوساط تلك القطاعات، على أنها «وريثة» نظام العنصرية الذي تفكّكت أركانه، رسمياً، في جنوب أفريقيا، قبل ثلاثة عقود (1993-1994). وإذ تزامن تقديم الدعوى الجنوب أفريقية مع بدء عمليات تسجيل أسماء الناخبين، قبيل الاستحقاقات الانتخابية، الوطنية والإقليمية، التي تنتظر حكومة الرئيس سيريل رامافوسا، فإنّ بريتوريا تستشرف، على خلفية موقفها من الحرب على غزة، عقوبات اقتصادية غربية وإسرائيلية، بدأت تتمظهر ملامحها بالفعل. وتطرقت نومفولا موكونيان، نائبة الأمين العام لـ«المؤتمر الوطني الأفريقي»، في 28 كانون الثاني، إلى هذه النقطة، مشيرةً إلى أنّ بلادها تستعدّ لـ«عقوبات اقتصادية محتملة من إسرائيل وحلفائها»، مؤكدةً، في المقابل، أنّ مثل تلك العقوبات ستكون بمثابة «جائزة»، نظراً إلى أنّ «القوى الاقتصادية العالمية» ستكون قد اتّخذت إجراءات ضدّ جنوب أفريقيا «بسبب موقفها من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي»، لا بناءً على أيّ خلفيات اقتصادية فعلية.

وحتى الآن، ألغت شركات إسرائيلية استيراد محاصيل زراعية، من مثل العنب، من جنوب أفريقيا، تمهيداً على الغالب لحظر استيراد موارد أخرى، علماً أنّ حجم التبادل التجاري بين الجانبين، في السنوات الأخيرة، كان محدوداً، إذ لم تتجاوز واردات إسرائيل من جنوب أفريقيا، عام 2022، الـ72 مليون دولار (معظمها من الفاكهة والخضراوات، التي بلغت قيمتها نحو 32 مليون دولار)، ما يعكس تراجعاً كبيراً ومستمراً عن عام 2011، الذي عُرف بـ«عام الذروة»، بعدما بلغت فيه قيمة الواردات المشار إليها نحو مئة مليون دولار. كما هدّد عددٌ من الشركات الإسرائيلية العاملة في جنوب أفريقيا بوقف أنشطتها فيها، بدورها، وبعد ساعات قليلة من صدور الحكم، أعلنت شركة «العال» الإسرائيلية أنها ستوقف رحلتها المباشرة الوحيدة، بين «تل أبيب» وجوهانسبرغ، ابتداءً من اول نيسان المقبل، بذريعة «التراجع الحاد في سيما على المستوى الاقتصادي، والترويج لكون النقابات وبعض القطاعات الحكومية في جنوب أفريقيا تتخوّف من تأثير المقاطعة الإسرائيلية، ومن خلفها الأميركية، على الاقتصاد. على أنّ هذه المزاعم لا تأخذ في الحسبان قدرة جنوب أفريقيا على استبدال السوق الإسرائيلية بأسواق إقليمية ودولية بسهولة بالغة، والمرونة الفائقة التي يتمتع بها الاقتصاد الجنوب أفريقي، جنباً إلى جنب مع الأهمية التي يكتسبها كسوق صادرات دولي للمعادن، وتحديداً إلى الولايات المتحدة والصين وروسيا وغيرها. بالتالي، إنّ الضرر المترتب عن أي خطوة أميركية في اتجاه وقف استيراد المعادن على الصناعات الأميركية، سيعادل تقريباً ذلك الذي قد يلحق ببريتوريا. وعلى أي حال، إنّ التلويح بالعقوبات الأميركية يأتي استكمالاً لنهج واشنطن القديم المتمثل باستخدام العلاقات الاقتصادية كأداة ضغط على الدول، للحفاظ على هيمنتها، وهي تهدف هذه المرة إلى منع تحول نظام بريتوريا إلى نموذج أفريقي «غير مسبوق»، يجمع ما بين وجود نظام ديموقراطي راسخ وصحي بشكل كبير، وعلاقات خارجية مستقلة ومتوازنة، بل حتى مناهضة للهيمنة الغربية في بعض المحطات، كما في حالة الحرب على غزة.

> تأثير «المقاطعة» الإسرائيلية على جنوب أفريقيا سيكون على الأرجح «هامشياً»

«النموذج الجنوب أفريقي»

في الواقع، شكلت جنوب أفريقيا مثالاً استثنائياً على قدرة الدول على الاستفادة من المتغيرات الدولية، التي تكثّفت في السنوات الأخيرة، ولا سيما بعد الحرب الروسية - الأوكرانية، لتحقيق مكاسب اقتصادية، ترتكز على تعزيز مقدّرات الاقتصاد الوطني واستدامتها، بدلاً من تعميق التبعية للخارج، كما هو الحال في معظم دول القارة السمراء. وهي حقّقت ذلك مع الحفاظ على «نظرة إيجابية» إلى اقتصادها في عام 2024؛ إذ طبقاً لتوقعات «بنك أوف أميركا» نهاية الشهر الماضي، فإنّ الأصول المحلية ستتفوق على العائدات الخارجية لبريتوريا في عام 2024، وسيصل سعر صرف الراند مقابل الدولار إلى 17,73، نهاية العام الجاري، نزولاً من 19 راند. كما سيشهد الاقتصاد الكلي للبلاد، طبقاً للمصدر نفسه، تحسناً في الأداء، في حال نجاح «المؤتمر الوطني» في التحالف مع «الأحزاب الصغيرة» والفوز في الانتخابات القادمة.

في المقابل، شكّلت جولة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، الأفريقية، الشهر الماضي، والتي انتهت بمكالمة هاتفية مع نظيرته الجنوب أفريقية، نالیدي باندور، عشية إصدار «محكمة العدل الدولية» قرارها، بعدما حمّل 210 أعضاء في الكونغرس الأميركي، بلينكن، في 23 كانون الثاني، خطاباً مفتوحاً، يتضمن «إدانة جنوب أفريقيا لرفعها قضية لا أساس لها إطلاقاً ضد إسرائيل»، وجهاً من أوجه الابتزاز الذي تمارسه واشنطن على بريتوريا. ومن المؤشرات على أنّ الأولى بدأت تمهّد أخيراً، للانتقال من مرحلة الابتزاز، إلى مرحلة العقوبات المحتملة، بدأت الرواية الإسرائيلية تتعمّد إلحاق الضرر بالاقتصاد الجنوب أفريقي. فعلى سبيل المثال، تحدّثت صحيفة «جيروزاليم بوست»، الشهر الماضي، عن «اكتشاف» شبكة مؤلفة من عدد من المنظمات والشركات الجنوب أفريقية، «مترابطة» في تمويل أنشطة «حماس» عبر «مؤسسة القدس» الخاضعة لعقوبات أميركية، والتي تعتبرها إسرائيل أيضاً «غير قانونية»، زاعمةً أن تلك الشبكة تستخدم في أنشطتها حسابات في بنوك جنوب أفريقية كبرى، من مثل «ستاندارد بنك»، و«ونيدبنك»، و«ابسا» (Absa). وعلى الأرجح، ترتكز الهجمة الغربية، التي تقودها واشنطن، ضد بريتوريا، على قناعة في أوساط صنّاع السياسة الأميركية بأنّ الأخيرة تنوي، مستقبلاً، اتخاذ خطوات إضافية مناهضة للكيان الإسرائيلي، وسط دعم دولي متزايد، وتوجيه المزيد من «الصفعات»، الأخلاقية أقله، إلى واشنطن، في وقت يهدّد فيه عددٌ من الأطراف الدولية «الوازنة»، والمقربة من جنوب أفريقيا، نفوذ الولايات المتحدة على الساحة العالمية.

تقرير

ثورة فلاحين في أوروبا: كفى تطنيشاً لمصالحنا

لندن - سعيد محمد

أغلق المزارعون في فرنسا، خلال الأيام الماضية، العديد من الطرق السريعة عبر الجمهورية، وأعاقوا حركة الشحن البرّي، على نحوٍ تسبّب بانقطاع إمدادات المواد الغذائية والاستهلاكية والوقود، في ما بدا كتحدٍّ متدحرج لحكومة رئيس الوزراء الجديد، غابرييل أتال. وأجبرت هذه التحركات، باريس، على اتّخاذ قرارات لامتصاص غضب المزارعين، فزادت من ضغوطها على المفوّضية الأوروبية لمعالجة أسباب المظالم التي يشتكون منها، بما في ذلك المنافسة مع الواردات من أوكرانيا، واتّفاق تجاري يجري التفاوض عليه مع مجموعة دول في أميركا اللاتينية، وأيضاً التضخّم غير المسبوق في تكاليف المعيشة والإنتاج، بما فيها تكلفة الديزل الزراعي الضروري لتشغيل مكنَنة المزارع والآليات.

كذلك، رتّب أتال زيارة عاجلة لمزرعة في الجنوب الغربي من البلاد، حيث استعرض سلسلة من الإجراءات التي ستتبنّاها حكومته، فيما تعهّد الرئيس إيمانويل ماكرون علناً بالدفاع عن مصالحهم، وإنْ كان أرفق هذا بالتحفُّظ عن مهاجمة «السادة» في بروكسل (مقر المفوّضية والاتحاد الأوروبيَّين). ونقلت الصحف الفرنسية عن ماكرون، قوله إن مصالح المزارعين الفرنسيين لن تتحقّق «من خلال معارضة بروكسل أو الإشارة إليها باعتبارها الجاني»، ولكن من خلال المطالبة بإصلاح سياسات الاتحاد، معتبراً أن أوروبا بمجموعها، «ينبغي أن تكون لديها سياسات تتوافق مع مبدأ السيادة الغذائية التي ندافع عنها». ومن هنا، تمنّى على بروكسل ألّا توقّع اتفاق التجارة الحرّة مع مجموعة دول الـ«ميركوسور» في أميركا اللاتينية بصيغته الحالية، والتي ترفع القيود عن واردات من الأرجنتين والبرازيل وأوروغواي وباراغواي، و«قد لا تتوافق بالضرورة مع معايير الاتحاد الأوروبي الصحية الصارمة» التي تُفرض على إنتاج المزارعين في القارّة، وتزيد من التكاليف.

ويشتكي المزارعون الفرنسيون من تراجع ملموس في عوائد القطاع الزراعي بسبب ارتفاعات غير معهودة في تكاليف الإنتاج، في موازاة تآكل القدرة الشرائية لدى غالبيّة المستهلكين. وتريد باريس أيضاً تطبيق لوائح جديدة من الضرائب والرسوم تتضمّن رفعاً للدعم الذي يتلقّاه القطاع عن الديزل المخصّص للمعدات والآليات الزراعية، في الوقت الذي تدفع فيه بروكسل إلى فرض سياسات عبر القارّة من قبيل التزام المزارع الأوروبية بتخصيص ما لا يقلّ عن 4% من الأراضي الصالحة للزراعة لمحاصيل غير تجارية لتحسين التنوّع البيولوجي، وتقليل استخدام الأسمدة بنسبة 20% على الأقلّ، بالإضافة إلى اشتراط إجراء تناوب للمحاصيل، وغيرها من الإجراءات التي تفرض مزيداً من التكاليف على المزارعين.

ومع أن هذه المظالم تبدو متعلّقة

> خشية من توسّع الغضب لتشمل العاملين في التربية والصحة والبناء والنقل

بهموم القطاع الزراعي حصراً، إلّا أنها تعكس إحباطاً عاماً يسود المشهد الأوروبي برمّته، تتشارك فيه الطبقات الوسطى مع تلك العاملة، بعدما تراجع مستوى الرفاه الاجتماعي خلال عقد ونصف عقد إلى مستويات تعود إلى أيام البؤس خلال الحرب العالمية الثانية، بفعل حالة التضخّم المفرط، خلال العامَين الماضيَين، والتي مشت بمستوى العيش اليومي لملايين الأوروبيين مشّى يقبعون في أدنى الهرم الاجتماعي، على جانبَي خط الفقر.

وإذا كان غضب جمهور المتضرّرين قد أفضى إلى تصعيد التيارات اليمينية، فإن هذه انتهت إلى الانخراط تماماً كما غريمتها الليبرالية، في دعم المجهود الحربي الغربي في أوكرانيا، وذلك من خلال رصد المليارات لصلحة نظام كييف على حساب الميزانيات العامّة، في موازاة عشر جولات من العقوبات التجارية والمالية على روسيا، والتي سرعان ما ارتدّت على الأوروبيين على شكل تضخّم غير مسبوق في تكاليف الطاقة والكيميائيات والنقل، ودفعت باقتصادات كانت مزدهرة حتى وقت قريب، نحو هاوية كساد ونمو سالب. ويدرك الجمهور الأوروبي، الآن، وفي طليعته المزارعون، بأن حكوماته، بيمينها ويسارها، ليست سوى أدوات محلّية لا تمتلك قرارها، وأن الخصم الحقيقي لها ليس سوى بروكسل، التي سحقت بشكل متدرّج كل مساحة للسيادة الوطنية للدول الأعضاء في الاتحاد.

ويأتي «حصار باريس» بالجرارات الزراعية بعد تحرّكات واسعة نفّذها مزارعون أوروبيون في ألمانيا وبولندا ورومانيا وسلوفاكيا، احتجاجاً على سياسات الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك القرار الذي فرضته بروكسل في عام 2022 لفتح أسواق القارة أمام المحاصيل الأوكرانية - ولا سيما الحبوب والسكر والبيض ولحوم الدواجن - ذات الأسعار المنافسة، والتي تهدّد الآن بدفع ملايين المزارعين الأوروبيين الصغار إلى حافة الإفلاس.

وقد امتدّت الاحتجاجات إلى بلجيكا نفسها، حيث تحرّك المزارعون بجرّاراتهم وأغلقوا ميناءً رئيسياً في البلاد، واصطفّت طوابير طويلة منها في الشوارع في وسط العاصمة بروكسل قريباً من مقر البرلمان الأوروبي، وقطعت طرقاً تربط البلاد بفرنسا وألمانيا ولوكسمبورغ.

وبينما نجا جنوب أوروبا، إلى الآن، من فوضى الاحتجاجات، إلّا أن الأمور قد تتغيّر قريباً، إذ يُتوقّع أن ينظّم المزارعون الإيطاليون والبرتغاليون والإسبان قريباً احتجاجاتهم الخاصة المرتبطة أكثر بتغييرات المناخ. وتريد حكومتا مدريد ولشبونة فرض قيود طارئة على استخدام المياه بسبب حالة الجفاف الشديد، فيما أغلق المزارعون في جزيرة صقلية (جنوب إيطاليا) الطرق احتجاجاً على فشل الحكومة في تعويضهم عن موجة الحر والجفاف الشديدة التي طال أمدها في الصيف الماضي، وقضت على نصف المحاصيل.

من جهتها، اعترفت رئيسة المفوّضية الأوروبية، أورسولا فون دير لايين، بخطورة ما يجري، وقالت إن «هناك انقساماً واستقطاباً متزايدَين» عبر القارة. وفي محاولة لتدارك الأمور، أطلقت بروكسل ما سمّته «حواراً استراتيجياً» بين المجموعات الزراعية وصانعي القرار في الاتحاد الأوروبي، لكنّ المزارعين الصغار في جميع أنحاء أوروبا، الذين طفح بهم الكيل ويشعرون بخيانة النخب الحاكمة لهم وبخسرون تدريجياً القدرة على إطعام أسرهم، لن تنطلي عليهم في ما يبدو تلك الألاعيب اللغوية. ويقول ممثلوهم إن معركتهم هذه المرّة تمثّل «صراعاً من أجل البقاء»، وإن حراكهم لن يتوقف قبل رفع الظلم عنهم. ويعتقد مراقبون بأن القلق في كواليس بيروقراطيّة بروكسل يتجاوز فضاء الصراع مع المزارعين، إذ إن قطاعات اقتصادية عديدة عبر القارة تعرّضت لأضرار فادحة بسبب سياسات المفوضية، ولا سيما بعد اندلاع الحرب في أوكرانيا، فيما يُخشى الآن من توسّع دائرة الغضب لتشمل عمّال المصانع والمعلّمين والعاملين في الصحة وقطاعات البناء والنقل.

امتدّت الاحتجاجات إلى بروكسل، قريباً من مقر البرلمان الأوروبي (أ ف ب)

رئاسيات أميركا

بايدن vs ترامب: السيناريو الأسوأ يتكرّر

نيو جيرسي - رنا حربي

هي إذاً مباراة العودة التي لا يريد أحد مشاهدتها، مع تصاعُد احتمال تكرار نزال عام 2020 بين الرئيسَين الحالي جو بايدن، والسابق دونالد ترامب، الذي تتعزّز حظوظه في نَيْل بطاقة ترشيح الحزب الجمهوري. وعلى قاعدة «أهون الشرَّين»، تتمحور رهانات بايدن الانتخابية، رغم أنّ استطلاعات الرأي تشير إلى فقدان كِلا المرشّحَين أيّ شعبية حقيقية في الشارع، فيما ترقب البلاد مواجهة تعدّها الشريحة الأكبر من الناخبين، السيناريو الأسوأ إطلاقاً.

الناخبون ومراحل الحزن

تتصاعد حالة الاستقطاب والانقسام السياسي في الولايات المتحدة مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية، في موازاة تدهور الأوضاع على الحدود مع المكسيك، وعودة ملفّ الهجرة إلى الواجهة. ورغم الاختلافات العميقة على مختلف الصعد، السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، يتشارك معظم الناخبين شعور الخيبة من عودة الثنائي بايدن - ترامب إلى المنافسة في الانتخابات المقبلة. إذ أظهر استطلاعٌ للرأي أجرته «جامعة كوينيبياك»، أنّ أكثر من نصف الناخبين (52%) لا يرغبون في رؤية هذين المرشّحَين ينافسان في السباق الرئاسي لعام 2024. وفي تعليقه على ذلك، يلفت ديفيد غراهام، في تقرير نشرته مجلة «ذي أتلانتيك»، الأسبوع الماضي، بعنوان «هذا يحدث بالفعل»، إلى أن الخشية من عودة الثنائي المذكور هي «الشيء الوحيد الذي يوحّد الأميركيّين اليوم». ويضيف، «لسنوات، قال الأميركيون لمنظّمي استطلاعات الرأي والمراسلين والأصدقاء والعائلة والجيران... إنهم لا يريدون رؤية هذين الرجلَين في انتخابات عام 2024. فكيف وصلنا إلى هذه المرحلة؟». ليجيب بأن «السبب الرئيسي هو الاستقطاب السياسي السلبي والكره تجاه الطرف الآخر»، مشيراً أيضاً إلى أنّ وصول شخصيات غير شعبية من كلا الحزبَين قد يصبح «ديناميكية دائمة» في الانتخابات الأميركية. أمّا الشعور باليأس المشار إليه، فيمكن تلمُّسه يومياً في أحاديث المواطنين الأميركيين، خصوصاً أولئك الذين لا يزالون يتمسّكون بفكرة ظهور «المنقذ» الذي سيحول دون تكرار السيناريو المشؤوم.

من جهته، يقول المحلّل السياسي تشاك تود، في مقال بعنوان «بايدن وترامب ومراحل حزن الناخبين»، إن «المواجهة بينهما باتت حتمية»، فيما استعداد الناخب الأميركي لتقبُّل هذا الواقع «يعتمد على مرحلة الحزن التي يجد نفسه فيها حالياً». في نظره، تعيش غالبية الأميركيين في حالة من الحزن الجماعي، في حين «لا يزال بعضهم في مرحلة الإنكار، ولكن الجميع سيصل إلى مرحلة القبول عاجلاً أم آجلاً». ويتوجّه إلى مواطنيه بتساؤلات من مثل: «هل ما زلت في مرحلة الإنكار والاعتقاد بأن هذا هو خيارنا الوحيد؟ أم أن هذه المواجهة المحتملة تغضبك؟... هل تريد المساومة ولديك أمل... فتبحث، مثل بعض الوسطيّين في هذا البلد، عن خيار ثالث؟ هل تعهّدت بالابتعاد عن السياسة بسبب حالة الاكتئاب التي تسبّب فيها هذا الواقع السياسي؟».

ضيفٌ ثقيل

يصف تقرير لمجلّة «ناشونال ريفيو»، نُشر في كانون الثاني 2022، بايدن، بالرئيس «المؤقت» الذي لا يتوقّع منه أحد أن يكون «شخصية تدخل التاريخ»، إذ تقتصر مهمّته على «تضميد جراح البلاد» بعد أربع سنوات من حُكم ترامب، والجلوس على كرسي الرئاسة إلى حين وصول الرئيس الفعلي الذي سيختاره الحزب الديموقراطي في الانتخابات المقبلة. ووفقاً للتقرير، فإن خطاب بايدن في الذكرى السنوية الأولى لأحداث «الكابيتول» (6 كانون الثاني، 2021)، جاء بمنزلة «تذكير» بأنه رئيس «انتقالي» «وصل إلى منصبه لأن الناخبين المستقلّين لم تعجبهم شخصية ترامب، ولديهم تحفُّظ على طريقة تعامله مع ملفّات عدة، أبرزها فيروس كورونا والهجرة»، فيما ليس هناك أيّ سبب للاعتقاد بأن بايدن هو الرئيس المناسب سوى أنه بكل بساطة «ليس ترامب». وبالتالي، لم يكن أحد ليتوقّع أن الرئيس البالغ من العمر 81 عاماً، سيترشّح لولاية ثانية.

اليوم، تفصل الأميركيين والعالم، عشرة أشهر عن موعد الانتخابات، في الخامس من تشرين الثاني المقبل، فيما لا يزال مؤيّدو الحزب الديموقراطي في انتظار الرئيس «الفعلي» الذي لا يبدو أنه سيأتي. هذا الواقع يمثّل مشكلةً بالنسبة إلى الحزب الحاكم، الذي بحسب تقرير نشرته موقع «ذا كونفرسيشن»، الأسبوع الماضي، بعنوان «لا يزال في إمكان جو بايدن التنحّي قبل الانتخابات»، يشعر عددٌ من أعضائه، سراً وعلناً، بالقلق من أن الرئيس الحالي أصبح «ضيفاً ثقيلاً»، وأنه هو نفسه الذي حال دون وصول ترامب إلى الرئاسة. قد يكون اليوم السبب المباشر لوصوله إلى الحُكم، علماً أن استطلاعات الرأي تُظهر هبوط نسبة تأييد الأول إلى ما دون الـ40%، في حين بيّن استطلاع لصحيفة «نيويورك تايمز» أن 64% من الديموقراطيين أنفسهم لا يريدون أن يترشّح بايدن لولاية ثانية. فلماذا ترشح إذاً؟ وقف بايدن، الشهر الماضي، أمام مجموعة من المانحين، وقال لهم إن «ترشُّح ترامب كان دافعاً حقيقياً وراء قراره الترشّح مجدّداً»، محذّراً من أن «الديموقراطية في خطر»، وأن «المرشّح الجمهوري يشكّل تهديداً حقيقياً للمؤسّسات الديموقراطية» في البلاد.

«لا تقارنوني بالله، قارنوني بالبديل»

في تغريدة له على موقع «إكس»، كتب بايدن، في تشرين الثاني 2022: «كان والدي يقول: جو، لا تقارنّي بالله؛ قارنّي بالبديل». وفيما يأمل بايدن أن يوصله ترامب إلى الرئاسة مجدّداً، باعتبار الأول «أهون الشرَّين»، إلّا أن كثيراً من المحلّلين يقولون إن الرئيس الديموقراطي «اعتُبر، في الماضي، خياراً جيّداً، فقط لأن ترامب هو البديل». فهل تمهّد مهاجمة بايدن سلفه الطريق أمامه لولاية ثانية؟ يختلف الجوّ العام، اليوم، عمّا كان سائداً في الانتخابات السابقة، إذ إن هناك قضايا أخرى تفوق بأهمّيّتها شخص ترامب، وسط تزايد الغضب الشعبي على خلفية مسائل من مثل الاقتصاد، والحدود، والقروض الطالبية، والطبابة، والبنى التحتية، وغيرها. ودفعت سياسات بايدن، الداخلية منها والخارجية، ولا سيما موقفه من العدوان على غزة، عدداً من الناخبين إلى البحث عن بديل، أو خيار ثالث، بعيداً من الحزبَين التقليديَّين. ومن هنا، فإن التركيز على ترامب لم يَعُد كافياً، وهو ما بدأت تعبّر عنه أصوات من داخل الحزب الديموقراطي، ومن ضمنها النائبة، الكسندريا أوكاسيو كورتيز، التي دعت بايدن إلى «بذل المزيد من الجهد» لتعزيز رؤيته لمستقبل البلاد وتسليط الضوء، على إنجازاته في مدة الحكم، بدلاً من «مهاجمة» الرئيس السابق.

طوفان الأقصى

انتفاضة اللاجئين لاستعادة «الأونروا»

زاهر أبو حمدة

قرّرت اللجان الشعبية الفلسطينية في مخيمات لبنان الإضراب العام في منتصف تشرين الثاني عام 1993. عمّت السعادة أطفال الحيّ، من دون السؤال عن سبب العطلة غير المتوقّعة. لكن بعد ذلك، عمّ الحزن والغضب في مخيم عين الحلوة. وكأطفال في المرحلة الابتدائية، لم نفهم تماماً مجريات الأمور، لكنّ صوتاً في زقاق مخيم عين الحلوة خرج: مقاتلون، ملثمون، غاضبون: اغتالوا أبو إياد. كان ذلك بعد توقيع اتفاق «أوسلو» بشهرين. وأبو إياد هذا هو معين شبايطة معتمد حركة «فتح» في لبنان، أي الشخص الأول للحركة، وقبل إن المنفذين ينتمون إلى «المجلس الثوري». تكمن أهمية أبو إياد في أنه كان تربوياً ومديراً لمدرسة تابعة لـ«الأونروا»، قبل أن يكون فدائياً وسياسياً. والأهم أن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين لم تكن تستطيع منع أعضاء الفصائل وقيادتها من العمل في مؤسسات الوكالة، لا بل إن معظم قادة الفصائل في المخيمات كانوا معلمين وأطباء في سلك «الأونروا». فما الذي تغيّر؟ رضخت الوكالة لمطالب المموّل، وأصبحت تفرض سلوكاً معيناً على موظفيها أو المستفيدين منها. فهي لم تمنع تدريس تاريخ وجغرافيا فلسطين فقط، إنما تمنع الموظفين أيضاً من الإدلاء برأيهم الوطني والسياسي، وهذا يتعارض طبعاً مع قيم الأمم المتحدة المتمثلة بالديموقراطية وحرية الرأي والتعبير. يضاف إلى ذلك، أن تقليص خدماتها الممنهج منذ 4 عقود تقريباً، أصبح عقدة ليس لها حل، ومن أسبابه اتفاقات ضمنية بين الفصائل الفلسطينية وإدارات «الأونروا» للمتعاقبة: توظيف مقابل سكوت. هكذا توظّف الوكالة من تراهم الفصائل أفضل من غيرهم، مقابل صمت الفصائل عن إجراءاتها وسلوكها. هذه حقيقة يدفع ثمنها الشعب بأكمله.

■■■

صحيح أن الاحتلال، ولا سيما من ضمن خطط بنيامين نتنياهو، يريد إنهاء ملف «الأونروا»، وقالها أكثر من مرة صراحة، باعتبارها تمثّل اللاجئين، وشاهداً ملك على حق العودة. لكن المخطط الأشمل والأكبر، هو ألّا تكون الأمم المتحدة عموماً صوتاً يزعج الاحتلال. ومن هنا نفهم لماذا بعد أكثر من ثلاثة أشهر، يكشف الاحتلال أن مقاومين موظفين في الوكالة شاركوا في «طوفان الأقصى»؛ من جانب للتغطية على قرار محكمة العدل الدولية، ومن جانب آخر للضغط على الأمم المتحدة و«الأونروا» من أجل تغيير سلوكهم تجاه الاحتلال وجرائمه. وهو ما يشير إليه المؤرخ الإسرائيلي أفي شلايم الذي يقول: «ليس من قبيل الصدفة أن تكون الهجمات على الأونروا بعد قرارات محكمة العدل الدولية. تحاول إسرائيل تشويه سمعة المحكمة وكذلك تخريب المؤسسة التي تعيل اللاجئين منذ النكبة».

وهنا بدل أن تسأل إدارة «الأونروا» عن مزاعم الاحتلال، وتجري تحقيقات رسمية وتطلب دلائل، تقوم بطرد الموظفين، وترضخ للممولين. وهذه الرواية والية العمل الدولية المفتقدة للأدلّة، منذ ادعاء الاحتلال أن المقاومين قاموا بقطع رؤوس أطفال، واغتصبوا نساء، وتبنى الغرب لهذه الادعاءات.

وإذا سلّمنا جدلاً بأن مقاومين موظفين شاركوا في عملية 7 أكتوبر، ما المشكلة؟ أليس في الأمم المتحدة من خدم في جيش الاحتلال، وأيديهم مبتلّة بدمائنا؟ وأليس القانون الدولي يشرّع العمل المقاوم للاحتلال، بغضّ النظر عن مهنة المقاوم؟ هنا تظهر الإشكالية في سلّم القيم في الأمم المتحدة، ومن ثم كيف تتعاطى معه الدول الغربية. ففي مقابل البيانات والقرارات المنددة بـ«مشاركة» موظفين في 7 أكتوبر، لم يصدر أيّ شيء عنهم إزاء استشهاد 152 موظفاً في «الأونروا» بغارات واستهدافات الاحتلال في قطاع غزة.

■■■

ووسط كل ما يجري بالنسبة إلى الوكالة، يبقى المخطط الأساسي هو ما نشرته صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» في 2023/12/30، عن اقتراح وزارة الخارجية في تل أبيب، خطة من 3 مراحل تقود إلى تقويض «وكالة الغوث» بما في ذلك إخراجها من قطاع غزة. المرحلة الأولى تتطلّب تأكيد انتماء موظفين

> يجب استعادة الوكالة ممن يرضخون للإملاءات الإسرائيلية والأميركية، أو تكون انتفاضة لاجئين في كل مكان

في الوكالة في القطاع إلى حركة «حماس»، المتهمة من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، والغرب عموماً، بـ«الإرهاب»، وبالتالي تصبح المؤسسة الدولية في موضع الاتهام. أمّا المرحلة الثانية، فهي فرض حصار مالي على الوكالة والتوقف عن تمويلها، ما سيؤدي إلى تعطيل برامجها، وشلّ خدماتها، وعجزها عن تسديد رواتب موظفيها، الأمر الذي سيحدث فوضى في صفوفها، وإغلاقاً لمراكزها، وطرح علامات استفهام حول مصيرها. في المقابل، تأتي المرحلة الثالثة، وهي بعد إخراج الوكالة من قطاع غزة، تكلّف «الإدارة المدنية» المنوي تشكيلها بعد وقف المعارك، لإدارة القطاع، بإنشاء جهاز إداري «بديل لوكالة الغوث»، تكون مرجعيتها: الإدارة المدنية» في القطاع، وتحت الإشراف الأمني الإسرائيلي.

■■■

طبعاً هذه الخطة هي انتقام واضح من أهل غزة ومنهم 66% لاجئون، وستنسحب على الأقاليم الأخرى (الضفة الغربية ولبنان وسوريا والأردن). والسؤال الأهم ها هنا هو: كيف نواجه مخططات الاحتلال، ما دامت مكشوفة للجميع بما فيها إدارة «الأونروا»؟ للأسف، ليس هناك خطة مواجهة أو خطة لعرقلة الخطة الإسرائيلية. لذلك، لا بدّ من امتلاك اللاجئين المبادرة نحو الضغط على الاحتلال أولاً بالطرق المختلفة، ومن ثم الضغط على الممولين الغرب. ومن الخطأ اللعب على مسألة تعريب «الأونروا» لأن القضية ليست عربية فقط، إنّما دولية، والعالم كله مسؤول عن مأساة اللاجئين الفلسطينيين. ولا بد للاجئين من العودة إلى الجذور، فكما كان معين شبايطة وغيره من المناضلين يفرضون رؤيتهم على الوكالة ومناهجها، يجب استعادة الوكالة ممّن يرضخون للإملاءات الإسرائيلية والأميركية، أو تكون انتفاضة لاجئين في كل مكان.

(أ ف ب)

بيت خالد أبو خالد *

حسن حميد

الآن، أتذكّر الشاعر محمود درويش، فصورته ماثلة أمام بصري، وصوته المتهدج الواضح يملأ سمعي، ونداوة عينيه تلمع لكأنها المرايا المتقابلة في رهجها وصورها، وأصابعه التي تتحرك في صخب يشبه صخب أغصان الأشجار وهي تتلوّى طي فضاء الريح الناشطة. أتذكره وهو يكتبُ عن البيوت التي عاش فيها مقيماً، وقد تركت مغادرتُه إياها لوعةً قزّمها شديد، وتذكّرها موجع، وألفتها شارخة للطمأنينة. وأتذكره، حين تقاسمنا وإياه ليلاً طويلاً في عمّان شال بنا سحراً، وحديثاً، وذكريات لم تحوّم حول الشعر، ولم تذكره أو تستعيده، بل حوّمت حول البيوت وألفتها، والبيوت والمكان الاستعاري، والمكان الأليف الموجوع في تكوينه وهيئته كالمخيّم، والصريح في تعبيراته الصباحية والمسائية، بأنه مكان طارئ، مكان بديل، مكان لا نسب له أو علاقة بالأبدية، ومكان لا يشبه الأشجار لأنه، وإن كان له ثمر، بلا جذور.

أتذكّرُ محمود درويش، وحديثه عن الأمكنة والبيوت التي عمّرتنا وهمّتنا وشغلتنا بالطوفان حولها، وبالرجاء إليها أن تعود إلى فطرتها وصورتها السحرية الأولى الأليفة في ثباتها وجمالها ونداءاتها على أهلها الذين هم على مبعدة نَفَس واحد دافئ وحميم منه. أتذكّره، وأنا أرى انكساري وجثوتي أمام ركام بيت خالد أبو خالد، شاعر فلسطين المحارب، الفدائي الذي سلخ عمره كلّه من أجل أن تصير مغامراته قرب نهر الأردن، وفي الجنوب اللبناني، دانية في الشبه من مغامرات أوديسيوس الإغريقي وهو في طريق عودته إلى إيثاكا مدينته. لقد نجا من المواجهات في العمليات الحربية، ونجا من لدغ الأفاعي في الخنادق، ونجا من حرائق الشوق، وهو يرى أضواء بيوت أريحا وشوارعها قناديل من ضوء سحري تشعلها أيدي البحر الميت منذ لحظات الغروب الأولى. ونجا من نوبات الحنين وبكائه الرّاج في الليالي الطويلة الباردة. ونجا من انقطاع النفس وهو ينادي، بصوته الأبحّ، البيوتَ الفلسطينية أمّهات الأشجار والحواكير والقناديل والقناطر والأسوار البادية تلويحاتٍ للأيدي المتصاعدات التواءً في حضرة الهواء الرّهو.

ها هو بيت الشاعر خالد أبو خالد أمامي، وقد جئنا جثوةً فيها كثير من الهيبة والمهابة والجلال، بعد أن أصابته صواريخ الإسرائيليين حاملة النار، والعطب، والحزن، والخراب. ها هي كتبه الكثيرة، يا لجمال كثرتها وتعدد حجومها وألوان أغلفتها، بادية في عناق مدهش رزين. وها هي كوفيّته وبدلة الفوتيك الأخضر الشارقة بالضوء رغم ما أحاط بها من غبار. وهذا هو العلم الفلسطيني متجلياً بألوانه الأربعة في علوته الباطونية. وهذه أوراقه وأقلامه وقنديله الصغير الأزرق الذي رافق بضوئه ضوء أسطر الشعر الشارقات. وهذا الكوب الذي كان يشرب منه قهوته التي يصنعها بنفسه. وهذه عناوين دواوينه مترادفات واحداً واحداً. وهذا حذاؤه المهيب بنعله الكاوتشوكي الذي كان يسميه الدبنا صور الذي لا يهاب مطراً أو ثلجاً أو برداً. وهذا معطف الفدائية بأزرته الذهبية وقد ثقبته قضبان الحديد. وهذا وهذا وهذا... آآخ، كم يعذّبني التعداد، وكم تعذّبني الرؤية، وكم تجرحني الألفة، فقد جئت إلى هذا البيت زائراً مرّات ومرّات، وطوال سنوات، فعرفته في كليته، فهذا البيت لم يكن بيت خالد أبو خالد وحسب، بل كان بيت أهل الآداب والفنون، وعشاق البلاد الفلسطينية العزيزة، عشّاق التاريخ، والحكايات، والأمكنة، والأحداث، والأخبار، والحادثات، عشاق الزعتر والميرمية والمقروطة والزلابية. وجئت إلى هذا البيت لأقيم فيه حين لحقت بأسرتي نارُ العشرية الدموية في سوريا فدمّر بيتي في مخيّم سبينة، فشردت وأسرتي في هجرة قسرية إلى بيت خالد أبو خالد البعيد قليلاً من الدمار والخراب والنار وحرائق الناس وهم يرون بيوتهم تحترق، هي وما فيها!

هاتفته في الفجر، قلت له: شاعرنا أبو خالد، ضاقت الدنيا عليّ، اجتاحتني النار، وعمّتني الحيرة وقلّة الحيلة، ودخل جحيم الحرب إلى بيتي، قال صارخاً: دع كلّ شيء وانجُ بنفسك وأهلك، وتعال إليّ، تعال إلى بيت الفلسطينيين، كلّ الفلسطينيين هنا، وما كان يقصد سوى بيته، فذهبت هناك، وطوال أيام المحنة، والخوف، والأسئلة المرّة والانتظار المخيف، عرفت بيت خالد أبو خالد بتفاصيله... وعشقته!

بنا لعشقي لهذا البيت الذي بناه خالد أبو خالد، وزوجته أم وسام، بعرقهما، بعد أن عاشوا وعملوا وتعبوا في الكويت، في رحلة منفى آخر، وبُعد آخر، وحنين آخر، بنى الاثنان بيتاً كان بعيداً جداً من مدينة دمشق، لكنه، ومع سعة العمران، واندفاعة الزمن، صار في قلب دمشق. بيت ملموم مثل حبة لوز. له حديقة تشبه حاكورة بيت أبو خالد الشهيد، رفيق القسام، في نابلس. ياااه... أذكر الآن فرحة أبو خالد الشاعر، حين دهمت خلية نحل حاكورته بشقرة نحلها، بدا لي لحظتئذ طفلاً ممتلئاً بالدهشة وهو يراقب اجتماع النحل على جذع شجرة الخروب، سمعته يقول: انتهت الحرب، وهذه هي البشارة.

الآن، وأنا في جثوة الحزن أمام بيت خالد أبو خالد الذي جئنا مرغماً أيضاً، أتذكّر بيت جبرا إبراهيم جبرا الذي دمّره الأميركان في شارع الأميرات في بغداد/ دار السلام، فلوحات خالد أبو خالد الفنان التي صارت حطاماً هنا، هي لوحات جبرا

إبراهيم جبرا التي صارت حطاماً هناك في بغداد، وكتبه التي تمزّقت أوراقها وأغلفتها هنا في دمشق، هي كتب جبرا إبراهيم جبرا التي تناثرت واحترقت هناك في بغداد، فيْدُ الخراب واحدة، والروح الشريرة واحدة، والغاية السوداء الحاقدة واحدة.

نعم، أنا الآن أبكي الكتب، فدائماً ما قرأتُ، وطوال شهور، في كتب خالد أبو خالد، ولكم ساهرتها، وساهرتني، ولكم أعطتني من نفع وبركة ومعرفة، وأنا أرى هوامشها مملوءة بحبر أقلام خالد أبو خالد وتعليقاته المدهشة. قرأت كتب الميثولوجيا الفلسطينية بحكاياتها التي تروي تاريخ القرى، والبراري، وقصص أهل الحجيج للقدس وبيت لحم والجليل وطبريا. وقرأتُ كتب ميثولوجيا الإغريق التي عشقها خالد أبو خالد ودقّ وتد روحه إلى عودة أوديسيوس تلك العودة البحرية المحتشدة بالتعب والشوق، والرهق، والصعوبات، والعواصف، من أجل الوصول إلى إيثاكا، فقال: عودتنا الفلسطينية هي عوديسا جبلية صعبة، وذات شوق عميم، وعواصف لا تنتهي كرمى العودة المحلومة، وهذه هي كتب الحنين والحزن والعمل والصبر، وكتب القرى والعمران والعلوم.

بلى، المكان هوية، والبيوت أرواح، فها أنا ذا أنتشل طولي وأنهض، فأسمع كلام كلّ من يحيطون بالبيت، وهم يرددون اسم فلسطين، واسم خالد أبو خالد، لكأنهم يعزفون موسيقى، أو يرتلون، أو ينشدون نشيداً فيه جملة راجّة تملأ قلبي وصدري وعقلي وبصري... تقول: بلادي، بلادي!

* يوم السبت 2024/20/1 استهدف هجوم إسرائيلي مبنى سكنياً في منطقة المزة في دمشق، ما أدّى إلى تدمير منزل الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد (الواقع ضمن المبنى) والذي يضم مكتبة ضخمة للشاعر وعدداً من اللوحات بريشته

قطر و«جزيرتها»: استغلال «الأمل»

غزة ـ بهاء شاهرة رؤوف

منذ 120 يوماً، يعاني أهالي قطاع غزة من ويلات حرب الإبادة التي تشنّها إسرائيل. والأمر لا يتعلّق بالقتل المباشر فقط، بل يتعدّى ذلك، وقد وصل إلى قوتهم اليومي. هذه الظروف خلقت واقعاً جديداً للغزيّين، فأصبحوا مهنكين، يتعلقون بقشّة أمل بأن ينتهي هذا الواقع الصعب والمؤلم الذي يعيشونه.

الواقع الجديد للقطاع أصبح يُستخدم ضد الغزيّين أنفسهم، وأصبح يستخدم كورقة ضغط في المفاوضات الجارية بين العدوّ الصهيوني والولايات المتحدة، من جهة، وبين الواقع الذي تمثّل الجانب الفلسطيني، كما يبدو، من جهة أخرى.

مساء الخميس الماضي، أعلنت قناة «الجزيرة» القطرية، على لسان الخارجية القطرية، أن «إسرائيل وافقت على مقترح وقف إطلاق النار، ولدينا تأكيد إيجابي أوّلي من حركة حماس». الخبر الذي تلقّفه أهالي القطاع، بإيجابية كبيرة، جعلهم يخرجون في الشوارع مهلّلين ومكبّرين، احتفالاً بانتهاء هذه الإبادة الجماعيّة التي قتلت منهم أكثر من 27 ألف مواطن. لكن سرعان ما سحبت «الجزيرة» الخبر، فانتهت الفرحة العارمة التي ملأت قلوب الغزيين، وعادوا إلى مآويهم يجرّون خلفهم خذلانهم، وأغلب ظنّهم أن هذه الإبادة لن تنتهي. هذا الأمل الكاذب، الذي جعل الناس على لسان الخارجية القطريّة، هو ما نشرته صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» في 2023/12/30، عن اقتراح وزارة الخارجية في تل أبيب، خطة من 3 مراحل تقود إلى تقويض «وكالة الغوث» بما في ذلك إخراجها من قطاع غزة. المرحلة الأولى تتطلّب تأكيد انتماء موظفين

> سرعان ما سحبت «الجزيرة» الخبر، فانتهت الفرحة العارمة التي ملأت قلوب الغزيين، وعادوا إلى مآويهم يجرّون خلفهم خذلانهم

بحسب رؤية النخب الاقتصادية، لأهداف الهندسة الاجتماعيّة البحتة. منها ترييف أو تغييب الحقائق للمشاهد، بهدف تخديره أو تغيير رأيه تجاه قضايا معينة كانه واقع مفروض على الإنسان العربي، وعليه التعايش معه. «القوة الناعمة» التي تستخدمها «الجزيرة» في صناعة «الرأي» تستخدم ضد الفلسطينيين أنفسهم في كثير من الأحيان، فلا يمكن فهمها بعيداً عن طموحات الأنظمة في كسر وعي الإنسان الفلسطيني صاحب الرواية الفلسطينيّة لهذه الأرض، الرافض لكل ما يدعو إلى تطبيع وجود المحتل على أرضه.

وبالعودة إلى البداية، الإبادة المستمرة في غزّة خلقت واقعاً جديداً سينتهي بكل تأكيد، وسيخلق أهل غزة واقعاً جديداً لن ترصده «الجزيرة» لأنه في الغالب لن يروق لما يحاك في أروقة القصر الأميري. الواقع المقبل واقع رافض لاستغلال الإنسان الفلسطيني من أجل تمرير الأفكار الدخيلة عليه وعلى الإنسان العربي. فهذا الواقع الذي سينشأ بحكم الأمر الواقع، سيكون خط الدفاع الأول عن عقل الإنسان الفلسطيني والعربي الحرّ الرافض لكل أشكال الاستغلال والابتزاز لمعاناة الإنسان على هذه الأرض، لمصلحة الاحتلال الصهيوني أو مصالح الاستعمار والأنظمة العربية.

لا تروق المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة الأميركية، الأمر الذي إذا أسقطناه على واقعنا العربي نجد أنّه مع صعود قناة «الجزيرة» في التسعينيات، ازداد دور الإعلام كسلعة تسعى إلى تحقيق أهداف مشيخة قطر، وباقي الأنظمة العربية، بحسب المصالح - تلاقيها وانفصالها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، دور «الجزيرة» في تطبيع الوجود الصهيوني على الشاشات العربيّة عبر استضافتها للمتحدثين باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي مثل أفيخاي أدرعي، أو ممثلين عن الجيش الإسرائيلي، هو دور مشبوه، لكنه دور يروق الطبقة الحاكمة في دولة قطر وأنظمة عربيّة أخرى، يسهّل عليهم كيّ وعي المشاهد العربي، ومن ثمّ يسهّل عليهم تحقيق فكرة التطبيع مع دولة الكيان الصهيوني أمام الشعوب التي اعتادت المشهد في بيوتها.

هذا الاختراع للواقع، المستمر منذ تسعينيات القرن الماضي، لا يتم فهمه في سياق منقطع عن دور الأنظمة المتواطئة مع الاحتلال الصهيوني في صناعة رأي يتقبّل العدو الصهيوني هذه الحرب، كانت كفيلة بجعل أهل غزة يفقدون الثقة بقطر وقناتها (الجزيرة)، التي رافقتهم طوال هذه الحرب بتغطيتها المفتوحة. وهذه اللحظة أيضاً جعلت الكثير من الناس يحلّلون ويفهمون أن الدور القطري في هذه الحرب دور مشبوه، يستهدف وعي ومشاعر أهالي القطاع للضغط من خلالها على المقاومة، لتقبل بأيّ شروط كانت إرضاءً للمواطنين الذين يأملون انتهاء الحرب وهم أحياء.

أطلق مايكل باريتني مصطلح «اختراع الواقع» على دور الإعلام كسلعة سياسيّة - اقتصاديّة، تصاغ

جدّي وجدّتي وبلد الشيخ

أيهم السهلي

قبل نحو أسبوعين، رحل جدّي، موسى محمد السهلي، والد أمي، من مواليد قرية بلد الشيخ قضاء حيفا عام 1935. وقد تهجّر إلى سوريا وعاش لاجئاً مع عائلته، وكان عمره في حينها 13 عاماً. وقبل أن يكمل العشرين، تزوّج، ورزق بـ 3 ذكور و5 بنات. وفي مطلع التسعينيّات توفيت جدّتي كاملة، فتزوّج بعدها ورُزق بولد آخر.

لم يعش جدّي في المخيمات. سكن في السنوات الأولى للجوء في إحدى حارات المزة القديمة، حالُه حال العديد من اللاجئين الفلسطينيين، الذين انتقل بعضهم لاحقاً إلى المخيم، وظل بعضهم الآخر في الحيّ، وبعض قليل انتقل إلى مناطق أخرى في المزة وغيرها داخل دمشق. ولكون أمي تزوجت أبي وانتقلت للعيش في المخيم، حيث كانت عائلة جدي لأبي تقيم بعدما تركوا المزة بعد انهيار بيت اللبن فوق رأسهم، ولدت أنا، فلم أذق الدفء الذي أقابلهم، وأوجّه لهم أسئلة مركّزة للحديث عن مدنهم أو قراهم، وعن ذاكرتهم في فلسطين. لكن المدهش بالنسبة إليّ في حينها، أنها كانت المرة الأولى التي أستمع فيها إلى جدّي يتحدث عن قريته. كنت أدرك أنه رجل ذكيّ، ولديه ذاكرة ممتازة، انتبهت إليها من خلال الكثير من الأحاديث التي كان يعود فيها بذاكرته إلى سنوات خلت، لكنها كانت أحاديث عابرة، لم تكن تلفت انتباهي.

رافقت جنازة جدي مع الجميع الذين خرجوا في جنازته. وخلال الدفن وبعده، استوقفني كثيراً أن يدفن رجل خارج قريته وخارج دياره التي يجب أن يستريح فيها إلى الأبد. فكأنّ هذه القضية في حياة الفلسطينيين تفصيل لا يريد أحد الحديث عنه، ولا الذهاب في نقاشه، ربما لأن الموت مشكلة لم أستغرب حديثه على الإطلاق، فكنت قد اعتدت على الفلسطينيين من كبار السنّ الذين أقابلهم، وأوجّه لهم أسئلة مركّزة للحديث عن مدنهم أو قراهم، وعن ذاكرتهم في فلسطين. لكن المدهش بالنسبة إليّ في حينها، أنها كانت المرة الأولى التي أستمع فيها إلى جدّي يتحدث عن قريته. كنت أدرك أنه رجل ذكيّ، ولديه ذاكرة ممتازة، انتبهت إليها من خلال الكثير من الأحاديث التي تلك الجلسة التي اعتبرها من أهم اللقاءات مع جدي، عرضت أمامه سجلّ أرشيف عائلتنا الموجود في الجامعة الأميركية في بيروت «Al-Sahli Family Collection، 1841-1947»، والذي قدّمه أحد أفراد العائلة واسمه تميم السهلي. وبدأت بطرح أسئلة عليه عن بعض الأسماء الواردة في هذه المجموعة الأرشيفية، وعن بعض الأراضي و«صكوك» ملكيتها ضمن الأرشيف، فتكلّم وتكلّم وتكلّم.

الأحياء، وليس مشكلة الموتى. وربما لأن نقاش عودة الأحياء إلى ديارهم مؤجّل إلى حين، وربما وربما. تستوقفني هذه الفكرة عند كل موت لفلسطيني، ولا سيما هؤلاء الذين ولدوا في فلسطين، قبل أن يكون الاحتلال، وتكون دولته. هؤلاء الموتى، ربّما لن يشعروا بكلام الشعراء عن البرد الذي سيعيشه الميت في تراب غريب، فهذا الأمر يعني الأحياء أيضاً، ويعني الشاعر أكثر. لكن في تراجيديتنا الفلسطينية، الموت يعني التفكير بالحق، حق الفلسطيني في أن يكون في دياره، في حياته وموته، وربما لذلك قال جدي قبل موته بساعات «خدوني عالبيت»، رغم أنه كان في بيته، إلا أنه أراد العودة إلى البيت، أيّ بيت؟ لا شكّ عندي أنه كان يقصد بيته في بلد الشيخ.

رحل جدي، وربما هو آخر رجل من عائلتي الفلسطينية من مواليد الثلاثينيات من القرن الماضي، وربما هو آخر ذاكرة تتذكّر قريتنا بالتفصيل، قريتنا بلد الشيخ قبل أن تصير «تل حنان»، وقبل أن يسكنها أناس أتوا من أماكن مختلفة من العالم، لتتحول بأيديهم وبنكرانهم لذاكرة أهلها إلى مستوطنة لا تشبه ماضيها القريب.

تتبعت كثيراً ما حلّ بالقرية. قرأت، شاهدت، استمعت، جالست كبار السن، لذلك أعرف ماضي القرية، وربما لو قيّض لي الذهاب إليها، فأنا سأعرف فيها الماضي، أما حاضرها فليس مني ولست منه، لكنه لي.

جدتي جميلة هي أخت جدي موسى، وتكبره بأكثر من عشر سنوات، عرفا بلد الشيخ، قريتنا في حيفا جيداً، ومن معرفة جدّتي بها، عرفت تاريخاً ليس مكتوباً في الكتب، كنت أشاهده في تقاسيم وجهها، في المشهد الغريب قبل موتها بساعات، وهي «تقشّر» البرتقالة في بيت عمي، وفي صورة قديمة افترضها لنساء القرية وهن يزرعن، حافيات، ويحملن الماء. أحبّ أن أتوهّم أن جدتي بينهن، وربما هي الصغيرة بينهن، فيوماً ما، حين أعود إلى هناك، سأبحث عن تلك الفتاة الصغيرة، وأقول لها مرحبا يا جدّتي، لقد عدت.

فواز طرابلسي عن «زمن اليسار الجديد» [4]

أسعد أبو خليك *

الحديثُ هنا عن كتاب فواز طرابلسي الجديد، «زمن اليسار الجديد»، الصادر عن دار رياض نجيب الريّس. يُنوّه طرابلسي بأن فؤاد شهاب أولى المسألة الاجتماعيّة الاهتمام اللازم بعد حوادث 1958 (ص. 81). لكن ارى أن هذا الإيلاء لم يكن بدافع إنساني خيري، بل لأن شهاب (مستعيناً بخبراء الرجل الأبيض الذي حدَّدَ الاستعانة بهم) أراد حماية النظام الرأسمالي الطائفي من الانهيار. لكنه لم يترك المسألة الطائفيّة جانباً، بل واظب على حماية الامتيازات المارونيّة بنفس حماسة خلفائه وأسلافه. يقارن طرابلسي بين إعادة إعمار لبنان بعد 1958 ومشروع الحريريّة بعد الطائف. يقول إن المشروع الأخير عوّل على قدوم سلام عربي-إسرائيلي. لم يكن نظام شهاب ليمانع ذلك لو أنه تمتّع بحماية النظام الناصري لسلام مع إسرائيل. الحريري اعتمد في تعويله على السلام العربي-الإسرائيلي على مؤازرة النظام السوري الذي غطّى له حلمه التطبيعي. طبعاً، طرابلسي على حق في أن الحريري ورفاقه من كل الطوائف قضوا على نظام الأمن الاجتماعي الذي استحدثه فؤاد شهاب (حماية للنظام). يتساءل طرابلسي عن قدرة النظام الطائفي على الديمومة في حال إكمال برامج العدل الاجتماعي. لكنّ الجواب يحتاج إلى النظر إلى نظام الشهابيّة، في عهديْن: لم يقض على زعماء الطوائف بل فضّل زعماء على آخرين، وهو مسؤول، أكثر من غيره، عن رفع مرتبة بيار الجميّل وذلك نكاية بريمون إده، عدوّ شهاب اللدود.

يتذكّر طرابلسي أجواء حرب 1967 في الجامعة الأميركيّة والتظاهرات أمام السفارة الأميركيّة. ويروي مشهداً طريفاً: فؤاد السنيورة وهو يرمي قنابل مولوتوف على السفارة. لكنّ السنيورة عوّض في سنواته في الحكم عن خطيئته تلك، واستقبله بوش وريتّ على كتفه في البيت الأبيض في مشهد أثلج صدر القومي العربي الذي لم يحتج يوماً إلى فحص دم، مثله مثل قادة الجبهة اللبنانيّة. أصدرت مجموعة «لبنان الاشتراكي» بياناً باسم «اشتراكيّون لبنانيّون» واتّهمت فيه الجيش بـ«حماية مكاتب شركات النفط الفلسطينيّة سارعت إلى إنقاذ القوى الوطنيّة بعد أن كانت قوى اليمين في طريقها لاحتلال منطقة الحمراء وراس بيروت. يستشهد المؤلّف في هذا الصدد بمقالة لوضّاح شرارة كان واضحاً فيها استبعاد الخيار العسكري لانشغال الناس بـ«تحصيل معاشهم» (ص. 91). ونشرة «لبنان الاشتراكي» كانت واضحة في استبعاد تعميم نموذج الكفاح المسلّح في لبنان (ص. 93). لكن الخلفيّة الطبقيّة (غير الفقيرة والكادحة) لأعضاء المؤلّف عن رفيق له فيقول: «طرحوه أرضاً وضربوه وداسوه بالجزم ثم صوّبا عليه الكارْ وهدّدوا بحرقه». ص. 87). لكن هموم المجموعة كانت نظريّة وتحليليّة للغاية على عكس المجموعات اليساريّة الثوريّة التي نبتت في أوائل السبعينيّات والتي كان همّها الأساسي حماية المخيّمات الفلسطينيّة وشنّ عرب عصابات ضد قوى السلطة ورأس المال. واعتقل النظام آنذاك جنوداً وضبّاطاً لأنهم اعترضوا على عدم مشاركة الجيش في حرب 1967. لم يشذّ التنظيم عن مسار حركة القوميّين العرب، وسادت أولويّة بناء الحزب الماركسي اللينيني، لكن ماذا تفعل عندما تنتشر الأحزاب الماركسيّة اللينينيّة كالفطر، ويُخوّن أحدها الآخر، ويقول باعتزاز (نقلاً عن لينين): إذا وُجِدَ حزبان ماركسيّان في بلد ما، فأحدهما حتماً انتهازي. اذكر كيف كانت الأحزاب الماركسيّة الصغيرة في بيروت تقول ذلك عن كل الأحزاب الأخرى، بالجملة.

التقرير الذي صدر عن المجموعة بعد الحرب قرّر دعم الفدائيّين وتأمين المأوى والملجأ والغذاء لهم، لكنه لم يقرّر المشاركة في القتال. في هذا لم يختلف الحزب اليساري الجديد عن الحزب الشيوعي التقليدي. فضّل التقرير ضرب الحكم الرجعي في الداخل لأنه عائق أمام العمل الفدائي» (ص. 89). لكن كيف تضرب السلطة من دون تسلّح وتدريب؟ من الواضح أن المجموعة ارتأت ما ارتأته قوى اليسار التقليدي في حينه: أن تعتمد على المقاومة الفلسطينيّة كي تحمل السلاح من أجل الثورة والبناية عن القوى اللبنانيّة التي لم تكن تريد خوض غمار الكفاح المسلّح. الغريب بالنسبة إلى جيلي (الذي تلا جيل فوّاز ورفاقه) أن التجذّر النظري لم تكن له ترجمة في التجذّر العملي على الأرض. يعترف طرابلسي بذلك ويقول إن «المهمات (كانت) جداً متواضعة: تنظيم تظاهرات... وبثّ الوعي في الجنوب...وإطلاق حريّة العمل الفدائي». كيف كان تسليح وتدريب مليشيات «الكتائب» و«الأحرار» (وكان ذلك علنيّاً وكانت الصحف تنشر عنه تحقيقات مصوّرة) لم يستدع ردّة فعل (غير ردة الفعل اللفظيّة) من قبل القوى الوطنيّة والتقدميّة؟ والاختلال في ميزان الإعداد العسكري كان سيؤدّي إلى هزيمة ماحقة في حرب الفنادق لولا أن المقاومة الفلسطينيّة سارعت إلى إنقاذ القوى الوطنيّة بعد أن كانت قوى اليمين في طريقها لاحتلال منطقة الحمراء وراس بيروت. يستشهد المؤلّف في هذا الصدد بمقالة لوضّاح شرارة كان واضحاً فيها استبعاد الخيار العسكري لانشغال الناس بـ«تحصيل معاشهم» (ص. 91). ونشرة «لبنان الاشتراكي» كانت واضحة في استبعاد تعميم نموذج الكفاح المسلّح في لبنان (ص. 93). لكن الخلفيّة الطبقيّة (غير الفقيرة والكادحة) لأعضاء

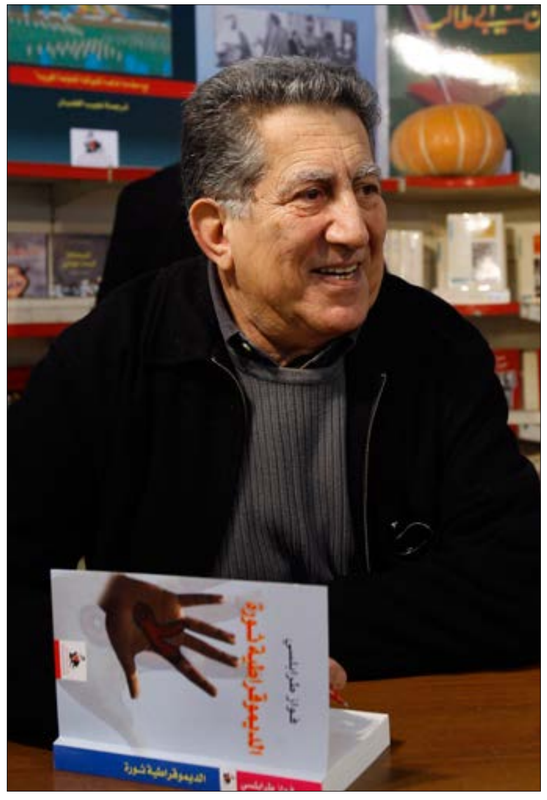

المجموعة قد تفسّر الامتناع عن خوض غمار الكفاح المسلّح. كان المقاتلون في الأحزاب الشيوعيّة الثوريّة التي رفعت شعار الكفاح المسلّح من خلفيّات طبقيّة كادحة، وجنوبيّة شيعيّة في الغالب، وظلّ ذلك الطابع حتى في الثمانينيّات من خلال دراسة للحزب الشيوعي عن شهدائه في حينه. شذّ عن ذلك أفراد في «المنظمة الشيوعيّة العربيّة» لكنّ المنظمة خاضت تجربة مختلفة من انتهاج العنف السياسي.

في تلك الفترة، بدأت مسيرة الاندماج التنظيمي بين «لبنان الاشتراكي» في و«منظمة الاشتراكيّين اللبنانيّين» في حركة القوميّين العرب. وكان المؤلّف باشر الاندماج مع نايف حواتمة ومحمد كشلي (الأخير أسّس دار نشر «ابن خلدون» وأصبح في عهد رفيق الحريري المستشار الخاص لشؤون قمع الحركة العمّاليّة). «لبنان الاشتراكي» لم توافق على تبرئة عبد الناصر من مسؤوليّة الهزيمة كما فعلت الحركة، لكن ذلك لم يحل دون اندماج التنظيميْن في صف حزب جديد، أي منظمة العمل الشيوعي.

يصف طرابلسي بدقّة الحالة بعد الهزيمة وهو على حقّ في أن الحقبة السعوديّة بدأت آنذاك (ص. 94)، أي قبل موت جمال عبد الناصر. كان عبد الناصر مثخناً وليس في وضع الالتزام بتقسيمه النظام العربي إلى معسكر رجعي وتقدّمي بسبب حاجته الماسّة إلى المال النفطي لإعادة بناء القوات المسلّحة. ويتحدّث طرابلسي عن تصالح بين الحركات القوميّة والشيوعيّين، لكن ذلك ينطبق على حركة القوميّين العرب فقط، لأنها اختارت التحوّل نحو بناء التنظيم الشيوعي ونبذت قوميّتها. العلاقة بين «البعث» والشيوعيّين، مثلاً، لم تتحسّن أبداً والحزب الشيوعي (الرسمي) رضخ لحكم «البعث» في سوريا والعراق وأطاعه، لكن ذلك لم يحم الحزب الشيوعي في حالة العراق، ولم يحم التنظيمات الشيوعيّة الأخرى في حالة سوريا.

لكنّ التحوّلات من حركة القوميّين العرب إلى تنظيمات ماركسيّة لم تكن سهلة أو سلسة. «الجبهة الشعبيّة»، وحدها، ولّدت انشقاقات «الجبهة الديموقراطيّة» و«الجبهة الشعبيّة-القيادة العامّة»، و«الجبهة الشعبيّة-العمليّات الخارجيّة»، و«الجبهة الشعبيّة (الثوريّة) لتحرير فلسطين». وأسهم بعثيّون سابقون في إنشاء «لبنان الاشتراكي» في لبنان، وفي تأسيس «المنظمة الاشتراكيّة الشعبيّة الفلسطينيّة» و«المنظمة العماليّة الثوريّة» بقيادة قيس السامرائي ورفاقه في العراق (ص. 97). حتى الأنظمة أدركت جاذبيّة الشعارات الثوريّة وتنظيم الفدائيّين. نظام صلاح جديد كان من أنصار حرب التحرير الشعبيّة ولهذا أسّس منظمة «الصاعقة» (أطلقوا عليها لقب «السارقة» بعد ارتكابها لسرقات كبرى في منازل أثرياء منطقة القنطاري). وكل التنظيمات اتفقت على الكفاح المسلّح لكن اختلفت حول الباقي. وطرابلسي يلاحظ عجالة و«سلق» اعتناق الماركسيّة اللينينيّة من قبل القوميّين السابقين ويقول إن ذلك أدّى إلى «سهولة الانفكاك من التزام الماركسيّة والارتداد عليها». ليت المؤلّف توسّع في هذه الفكرة لأنها تساهم في فهم ارتداد الكثير من قادة وأعضاء منظمة العمل الشيوعي، خصوصاً أن القادة المؤسّسين كانوا من الذين أمعنوا في دراسة ونشر الفكر الماركسي منذ الستينيّات.

الحزب الشيوعي اللبناني تجاوب هو الآخر مع التحوّلات الكبرى وعقد مؤتمره الثاني في عام 1968 والذي حسم فيه موقفه من القضيّة الفلسطينيّة. لكنّ انتهاج الكفاح المسلّح لتحرير فلسطين لم يكن برنامج عمل له. يقول المؤلّف إن «منظمة أنصار» لم تعمّر طويلاً، ومشروع تشكيل الحرس الشعبي للدفاع عن الجنوب لم يكن جاداً. أمّا عن «الحركة الثوريّة الاشتراكيّة اللبنانيّة» وعمليّة «بنك أوف أميركا» في عام 1973، فيقول المؤلّف عنها: «أخذنا موقف الإدانة القويّة للقمع الدموي لأجهزة السلطة على صفحات «الحريّة»» (ص. وص98). وفي كتابه المرجعي، «26 ساعة، بنك أوف اميركا»، يروي عباس الحسيني أن جبهة الأحزاب والقوى الوطنيّة والتقدميّة تنصّلت من العمليّة وأدانتها. موقف الحزب الشيوعي ضد المجموعة كان قاسياً ووصفها بالإرهاب (جوزيف سماحة أدان تلك العمليّات في ما بعد في «السفير»). لم يعترض على بيان القوى الوطنيّة والتقدميّة إلا منظمة العمل الشيوعي وحزب العمل الاشتراكي العربي-لبنان. وذهب البيان بعيداً في اتهام العمليّة بأنها توطئة لإنزال أميركي» (ص. 12 من كتاب الحسيني). أمّا «النداء»، فقد اعتبرت العمليّة «محاولة رجعيّة فاشلة للتحريض على القوى التقدميّة». وحزب البعث الموالي للنظام السوري اعتبر العمليّة «خطة عمل إرهابيّة». لم يدافع عن «الحركة» إلا حزب البعث الموالي للنظام العراقي في بيان من صياغة موسى شعيب (الذي عُرف على شعيب عن كثب)، وبيان آخر لـ«الخلايا العماليّة الثوريّة» من صياغة روجيه نبعة. وأصرّت جريدة «الحياة» يومها على أن منظمة العمل الشيوعي هي وراء العمليّة، ما زاد من تنصّل المنظمة منها.

تعرّض طرابلسي للنقد الثقافوي الذي مثّله أدونيس وصادق جلال العظم بعد الهزيمة في عام 1967. لكنّ طرابلسي يعبّر، عن حقّ، عن تقدير اكبر لنقد ياسين الحافظ. الأخير لم ينزّه الجيوش العربيّة ولم يقدّس العمل الفدائي على أنه المُخلّص الوحيد بل بقي يعوّل على الجيوش العربية من دون أن يقصّر في نقد النظام الناصري. يرى الحافظ أن صيرورة حرب العصابات يكمن في تحوّلها إلى حرب جيوش نظاميّة. والحافظ، خلافاً للنزعة اليسارية التي نفرت من القوميّة، «دار... دورته الطبقيّة الكاملة ليعود إلى موقف قومي عن وحدة الأمّة وحشد طاقاتها» (ص. 104). وفي نقده للحافظ، يوحي طرابلسي بأن تشخيصه للتقدّم في المجتمع الإسرائيلي يساوي على الأرجح بين التقدّم والعنصر الغربي (ص. 105). وهنا يستفيض طرابلسي في شرح الهزيمة العسكريّة في عام 1967. لكنّ سرديّة طرابلسي تعتمد حصراً على رواية المؤرّخ خالد فهمي (الشديد الانحياز ضد عبد الناصر، ويأخذ عليه أن الشعب المصري شعر بالبتم بعده). كان على طرابلسي الاستعانة برواية شاملة وموثوقة لحازم قنديل في كتابه «جواسيس وجنود ورجال دولة: طريق مصر نحو الانتفاض». قنديل لا يقول بصراع قوى بين عبد الناصر وعامر، بل يقول إن عبد الناصر لم يكن يمتلك أدوات الحكم العسكريّة والأمنيّة قبل 1967.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

ماذا عن تلكؤ «الشارع» العربي؟

سعد الله مزرعاني *

تساءل أكثر من طرف معنيّ: من مواطنين ومحلّلين ومنخرطين في الصراع، عن سبب تخلّف البلدان العربية، أنظمةً وشعوباً، عن دعم كفاح الشعب الفلسطيني في معركته المصيرية الراهنة. هذا الشعب يخوض، في قطاع غزة، منذ 4 أشهر، معركة شاقة مشرّفة، وصراعاً ضارياً، ويواجه القتل الأعمى، والتهجير الشامل، والتدمير الكلي، والتشريد والتجويع والإبادة الجماعية. وهو يواجه في الضفة الغربية، حملة استباحة وتصفيات دموية وقمع واضطهاد..ما حصيلته، حتى الآن، في القطاع (خصوصاً) والضفة، حوالى 100 ألف شهيد وجريح، فضلاً عن مئات آلاف المشردين وآلاف المعتقلين، قديماً وحديثاً!

أشرت في مقالي الأسبوع الفائت، إلى أن «نقطة الضعف الأساسية، في مجال التضامن مع الكفاح الفلسطيني، كانت، قبل السابع من أكتوبر وبعده، في الموقف الرسمي العربي: في التخلّي والتواطؤ والتطبيع والإذعان». وكذلك في وضع الحركة الشعبية العربية التي لم تتفاعل مع العدوان، بمستوى ما ولّدته حرب الإبادة الصهيونية من نتائج وتحدّيات: على الوضعَين الفلسطيني والعربي. المشروع الصهيوني، لم يستهدف الشعب الفلسطيني وحده. لقد شملت استهدافاته، عبر الاحتلال والحروب والاعتداءات المتكررة، أراضيَ في كل من مصر وسوريا والأردن ولبنان. الغزو والاعتداءات وفّرا له، عبر القوة العسكرية والدعم الاستعماري، مكاسب كبيرة وخطيرة: جغرافية وسياسية واقتصادية وأمنية. وفّرا له أيضاً، أن يفرض اتفاقيات ومعاهدات سياسية وأمنية: لمصلحته، وعلى حساب مصالح الدول العربية المعنية وحقوق الشعب الفلسطيني. بالمقابل، عطّل العدو الصهيوني دائماً كل القرارات الدولية التي طالبته بالانسحاب من الأراضي المحتلة. إلى ذلك، هو لا يزال يحتلّ الجولان السوري، حيث أعلن ضمّه خلافاً لقرارات مجلس الأمن. كذلك هو ما زال يحتلّ بعض المناطق في جنوب لبنان رغم هزيمته وانسحابه الذليل، من معظم الأراضي اللبنانية، عام 2000.

لماذا الوضع العربي، الرسمي والشعبي، على هذه الكيفية من السلبية والتلكؤ؟ لقد طالت الحرب، وهي تنهي اليوم شهرها الرابع، فيما القتل والدمار والتشريد والتجويع والإبادة قد بلغت مدى غير مسبوق. بسبب هذا الوضع المأساوي، وبسبب بطولة مقاومي غزة وصمود مدنييها، الأسطوريين، أُطلقت حملة تضامن عالمية تخللتها تظاهرات هائلة، وهي شملت، أيضاً، عدداً من عواصم ومدن الدول الداعمة للعدوان والشريكة في جرائمه. ولغرض التضامن كذلك، بادرت جمهورية جنوب أفريقيا، بشكل مهم وفعّال، إلى تقديم شكوى ضد حكومة العدو إلى محكمة العدل الدولية. رغم ذلك كله، فقد اكتفت الأنظمة الرسمية العربية بالتفرّج والمراقبة القلقة (على من وماذا؟)، وببعض المواقف والتحركات الخجولة، فيما هي تستطيع الكثير لو أرادت!

وكذلك، إن «الشارع» العربي لم يتحرّك إلا بشكل جزئي ومحدود وهامشي: ما أثار، في الحالتين، الاستغراب أو الاستنكار.

إنّ التوقّف عند هذه الظاهرة، في الشق الشعبي منها، ومحاولة تلمّس أسبابها، هو أمر في غاية الأهمية في مجرى بحث لا بُدّ من الانخراط فيه: من أجل الحاضر، أملاً في تدارك بعض التقصير، وكذلك، من أجل مستقبل مشروع التغيير المنشود:

- السبب الأول، من حيث الأهمية والتأثير، هو القمع الرسمي العربي. وهو قمع موجّه، من حيث المبدأ، ضد أي حركة شعبية احتجاجية، فكيف إذا كانت للاحتجاج على العدوان الصهيوني المدعوم من حلفاء هذه الأنظمة المتهمة هي نفسها، أساساً، بالتواطؤ وبالتطبيع مع العدو، وبالتبعية لداعميه وشركائه في التآمر والإجرام؟ في هذه الحال، يصبح الاحتجاج ضد المجازر الصهيونية احتجاجاً مباشراً على هذه الأنظمة، أيضاً، وخطراً على سياساتها ووجودها! هذا ينطبق، بشكل خاص، على دول الخليج، وعلى مصر والأردن والمغرب. وهي دول تُدار بأنظمة تابعة، تحكمها ملكيات مطلقة أو ديكتاتورية عسكرية، كما هو الحال في القاهرة.

- ثانياً، ثمة صنف آخر من البلدان التي لم تُشفَ بعد من النسخة الأميركية من «الربيع العربي». السودان آخر النماذج في مسلسل شمل ليبيا وتونس والجزائر، ونسبياً، العراق وسوريا. ههنا صراع مستمر، بدرجات متفاوتة من الحرب الأهلية، على السلطة أو على السياسات، إلى بعض توترات داخلية ذات أبعاد طائفية أو مذهبية أو إثنية. يتّصل بذلك أشكال من الحضور الاحتلالي الأميركي أو التركي أو الغربي أو العربي... لتغذية الانقسام والصراع على السلطة، وخدمةً لخطة الهيمنة الأميركية على المنطقة، ودعماً للتوسع الصهيوني وللتطبيع مع العدو.

في السياق، تجربتا «الإخوان المسلمين» في مصر وتونس اتّسمتا بالفئوية الشديدة والأخطاء العدة، ما أتاح المجال للعسكر للإمساك بالسلطة (وهو احتياطي تقليدي في جعبة الاستخبارات الأميركية). إنّ خروج مظاهرات في تونس والمغرب، رغم أهميتها، لم تكن بالحجم المطلوب، قياساً على نفوذ «الإخوان المسلمين» في البلدين قبل إبعادهما عن السلطة وإضعافهما في كلا البلدين.

سوريا مستنزفة بالاحتلالات المتعدّدة وببقايا الحرب الداخلية وبالحصار القاتل! الأردن مدين باستقراره وبقائه (!) لواشنطن وللرياض خصوصاً من الناحية الاقتصادية ولتجاوز مخاطر تركيبته الديموغرافية، رغم حركة لا يستهان بها انطلقت في مدن المملكة وشوارعها تضامناً مع غزة ومقاومتها. لسوريا ولبنان والعراق، بدرجات متفاوتة، جامع مشترك في قيام نشاط عسكري (عوّض حركة الشارع أو حال دونها) موجّه لدعم المقاومة في غزّة، كما هو الأمر في لبنان منذ اليوم الثاني لعملية «طوفان الأقصى». ومن العراق وسوريا، انطلقت الصواريخ ضد القواعد الأميركية، وآخرها في الجانب السوري من الحدود مع الأردن، وأدّت إلى مقتل 3 جنود أميركيين وإصابة العشرات منهم. أهمية ذلك سياسية وليست عسكرية فقط: من حيث استهداف قوات أميركية محتلة، ووجود أميركي دائم الدعم للصهاينة وخصوصاً في الصراع الراهن.

- ثالثاً، من أسباب ضعف التضامن في الشارع الشعبي أيضاً، تراجع دور قوى التحرر والتغيير التقليدية، بمسمياتها جميعها: القومية والاشتراكية والشيوعية... وهو تراجع مخلّ في القدرة على المشاركة وممارسة التأثير، راهناً، وحتى في المستقبل، إذا ما استمرّ الضعف الحالي.

لقد نمت في العقدين الأخيرين حركات «مدنية» تُوجّهها، سياسةً وتمويلاً، الأجهزة الأميركية والغربية. وهي قد حجزت جزءاً من الشارع وضلّلته، رافعة شعارات معادية للحرب ضد الصهاينة ضمناً!

- رابعاً، لن ننسى أيضاً، مناخ اليأس الذي ساد طويلاً، بعد تجارب فاشلة وخيبات ونكسات وارتداد وانكفاء... وهو ترك في الأذهان والنفوس آثاراً سلبية تراوح بين اللامبالاة والعبثية والاستسلام.

شذّ عن ذلك كلّه اليمن! رغم الحرب والانقسام، والتدخل العسكري القريب والبعيد، ورغم الفقر الذي يجتاح الملايين... استطاعت سلطات صنعاء، أن تقدّم، رسمياً وشعبياً، نموذجاً جريئاً متكاملاً وفعّالاً ومدهشاً!

ثمة حاجة كبيرة وملحّة لتفحّص ما ذُكر وما لم يُذكر كله، لإطلاق حركة نهوض تستنفر الطاقات كلها وتطورها وتجدّدها في هذه المعركة المصيرية المفتوحة: مع المستعمرين والصهاينة وأدواتهم المحلّيين!

* كاتب وسياسي لبناني

> رغم الحرب والانقسام، والتدخّل العسكري القريب والبعيد، ورغم الفقر الذي يجتاح الملايين... استطاعت سلطات صنعاء أن تقدّم، رسمياً وشعبياً، نموذجاً جريئاً متكاملاً وفعّالاً ومدهشاً!

عشيّة إقرار العدو بهزيمته: هل نحن أمام وقف للعدوان؟

معن بشور *

في 13 آب/أغسطس 2006، أي عشيّة الموعد المقرّر لوقف الحرب الصهيونية على لبنان في تموز/يوليو 2006، جمعتني ندوة تلفزيونية على شاشة «ال بي سي» وأدارتها الإعلامية القديرة شذى عمر، وشارك فيها ضيوف ثلاثة من لبنان ومصر والولايات المتحدة؛ وكان السؤال هل ستلتزم تل أبيب بوقف النار في الموعد المحدّد، هل سيعود إلى الجنوب مئات الآلاف من النازحين الجنوبيّين الذين استقبلتهم المناطق اللبنانية كافة، كما استقبلتهم، كعادتها، المدن السورية المحتضنة لكل عربي، بل لكل حرّ في العالم، حين يحتاج إلى الاحتضان.

الضيوف الثلاثة يومها كانوا يشكّكون بالتزام تل أبيب بقرار مجلس الأمن 1701 بوقف الحرب على لبنان، وبعضهم كان يوحي بأن الكيان الصهيوني لن يوقف هذه الحرب قبل أن يحقّق الهدف المعلن له منذ بدايتها، وهو سحق حزب الله والمقاومة اللبنانية. كان لي يومها موقف آخر بالقول: «غداً الإثنين، وفي الثامنة صباحاً، وهو الموعد المقرّر لوقف إطلاق النار، لن نسمع طلقة رصاص في الجنوب، بل إنّ الرصاصة الأخيرة ستكون من المقاومة لتعلن النصر على العدوان». وقلت أيضاً يومها: «وغداً عند الساعة الثامنة صباحاً ستجدون الجنوبيّين يزحفون إلى قراهم وبيوتهم التي دمّر العدوان الكثير منها».

وكان جوابي مستنداً إلى أمرين، أولهما إدراكي أنّ تل أبيب وواشنطن ما كانتا لتوافقا على وقف النار لولا شعورهما بالعجز عن متابعة الحرب، وثانيهما معرفتي بأهل الجنوب الذين ناضلنا معهم على مدى عقود وعرفنا صلابتهم وإقدامهم.

فعلاً، منذ السادسة صباح الرابع عشر من آب، اتّصل بي عدد من الأخوات والإخوة المكلّفين بالاهتمام بشؤون النازحين الجنوبيّين في مراكز إيوائهم من مدارس وغيرها، يخبرني أنّ النازحين يرتّبون أغراضهم تمهيداً للعودة إلى الجنوب بأسرع وقت ممكن، وهكذا كان، امتلأت طرقات الجنوب بأهل جبل عامل العائدين إلى بيوتهم وقراهم.

ذكرت هذه الواقعة اليوم، وبعد أكثر من 17 عاماً على ذلك العدوان، لأنني استخدمتها في كثير من ردودي على أصدقاء وإعلاميّين يسألون: هل ستوقف تل أبيب وواشنطن العدوان على غزّة؟ هل ستنجح المفاوضات غير المباشرة بين المقاومة والعدو في الوصول إلى اتفاق كاتفاق باريس مع بعض التعديلات عليه.

أبٍ، اتّصل بي عدد من الأخوات والإخوة المكلّفين بالاهتمام بشؤون النازحين الجنوبيّين في مراكز إيوائهم من مدارس وغيرها، يخبرني أنّ النازحين يرتّبون أغراضهم تمهيداً للعودة إلى الجنوب بأسرع وقت ممكن، وهكذا كان، امتلأت طرقات الجنوب بأهل جبل عامل العائدين إلى بيوتهم وقراهم.

وسبب توقعي هذا أن أهل العدوان في تل أبيب وخارجها، باتوا مدركين لعجزهم عن مواصلة العدوان وتحمّل الخسائر التي يمنون بها كل يوم، وبفعل اتّساع جبهة المواجهة على مستوى الأقطار (لبنان، اليمن، العراق)، أو أن أهدافها لم تعد محصورة بالكيان نفسه، بل بداعميه في واشنطن ولندن، كما أن المعركة لم تعد ساحتها غزّة خصوصاً، بل عموم فلسطين واكتشافها، ناهيك عن معرفتنا بأهل غزّة الذين واكبنا بطولاتهم منذ حرب 1967.

ورغم الآلام الكبرى التي يعاني منها أهل غزّة والتي هزّتنا من الأعماق، من جراء هذه الوحشية النازية الصهيونية والخراب والدمار الذي لحق بغزّة وأوجه الحياة كافة فيها، ولكن نستطيع أن نتوقع إقرار العدو بهزيمته في الأيام القادمة عبر وقف العدوان، ومع محاولات أميركية وأوروبية تسعى، عبر بعض الإجراءات، إلى حفظ ماء وجه تل أبيب وداعميها.

ومع اقترابنا من النصر لا بدّ من كلمة للتاريخ: لقد عرفنا كعرب ومسلمين عدداً من الانتصارات على أعدائنا، لكن لم نعرف كيف نحافظ عليها، وكل ما نتمناه أن يبدع الفلسطينيون في حماية الانتصار وتحصينه، كما أبدعوا في إلحاق الهزيمة بالعدو، لا سيّما في إطار وحدة وطنية قاعدتها المقاومة وتكامل عربي وإقليمي يُخرج المنطقة من أجواء الصراعات غير المبرّرة إلى أجواء التصالح والتعاون والتماسك في وجه العدو.

* الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

تقرير

التعميم 151 أقرّ... وصدوره مؤجّل

كريم الأمين

أقرّ المجلس المركزي لمصرف لبنان، أمس، تعديلات على التعميم الرقم 151 الذي تضمّن تسديد 150دولاراً شهرياً لكل مودع يستوفي شروطاً محدّدة، وتوافق أعضاء المجلس على احتساب كل ميزانيات المصارف وفق سعر السوق، (89500 ليرة مقابل الدولار). لكنّ هذه التعديلات لن تصدر قبل انتهاء الاجتماع الذي سيعقده حاكم مصرف لبنان بالإنابة وسيم منصوري، اليوم، مع جمعية المصارف لمناقشة بند «تجارة الشيكات» المتعلق بشروط التأهّل للاستفادة من التعميم.

وكانت المصارف المستاءة من التعميم أثارت، في اجتماع مع منصوري أخيراً، إمكانية أن يطالب زبائن بسحب مبالغ من ودائعهم تفوق 150 دولاراً، ولا سيما أن سعر الدولار المصرفي أصبح بسعر السوق نفسه بعد توحيد ميزانيات المصارف على سعر السوق. وبالتالي فإن التعميم يثير إشكالية تتعلق بالجواب الذي ستقدّمه المصارف للزبائن، خصوصاً في ظل عدم إقرار قانون كابيتال كونترول، ما يعرّضها لملاحقات قضائية ولمشاكل مع الزبائن. وهدّدت المصارف بأنها قد تصدر شيكات مسحوبة على مصرف لبنان لكل زبون يعترض على تطبيق التعميم، ما يرتّب على مصرف لبنان دفع قيمة الشيكات للزبائن. وبرّرت المصارف هذا الأمر بأن ودائعها موجودة في مصرف لبنان، وليست لديها سيولة كافية لتسديد المبالغ التي سيطلبها المودعون.

(هيثم الموسوي)

وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن أبرز الشروط المحدّدة للاستفادة من هذا التعميم الذي يشمل كل وديعة سواء كانت بالدولار أو حُوّلت من الليرة إلى دولار، ألّا يكون الزبون مستفيداً من التعميم 158، وأن لا تكون حساباته مرتبطة بتجارة «شيكات»، وأن تنحصر استفادته من التعميم بحساب مصرفي واحد أياً يكن عدد حساباته.

التقديرات التي نوقشت أمس في المجلس المركزي تشير إلى أن كلفة تطبيق التعميم قد تصل إلى 450 مليون دولار في السنة، بمعدل 37,5 مليون دولار شهرياً، تتوزّع على 250 ألف زبون، وتصل في الحدّ الأقصى إلى 300 ألف زبون. وسيدفع المصرف المركزي نصف المبلغ على أن تدفع المصارف النصف الآخر.

وكان المجلس خصّص قسماً كبيراً من جلسته الطويلة لدرس التعميم بعدما اتفق منصوري مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي على تعديلاته. وتوقّف المجتمعون طويلاً عند بندَين كانا الأكثر إثارة للجدل «تجارة الشيكات» والمعايير التي تؤهّل المودع للاستفادة من التعميم.

تقرير

حزب الله كرّم «شركاء النصر»

عفيف: العدوّ خسر المعركة الإعلاميّة والنفسيّة

كرّم حزب الله، أمس، إعلاميّين يشاركون منذ أربعة أشهر في التغطية الميدانية للأحداث على جبهة الجنوب. برعاية وزير الإعلام زياد مكاري، وتحت شعار «إعلاميون على طريق القدس»، نظّمت العلاقات الإعلامية في الحزب حفلاً تكريمياً لـ«الشركاء في الجهاد والنصر» كما وصفهم مسؤولها الحاج محمد عفيف.

وقال مكاري في كلمته إن «الإعلام المقاوم نجح في تعرية الأكاذيب الإسرائيلية»، وفي قلب المشهد عالمياً. ثمّة رأي عالمي يكبُر كلّ يوم بفضل خميرة الإعلام المقاوم». وأضاف: «ليس مستغرباً استدراج إسرائيل لما يزيد على مئة إعلامي إلى كمائن الموت، وللبنان حصّة، بحيث تربّع عصام عبد الله وربيع معماري وفرح عمر على لائحة أشراف الأمة خلال مرابضتهم على حدود القدس».

وفي كلمته، قال عفيف إنه «في وقت كانت تغطي جبهة الجنوب فرق إعلامية عديدة على مدار الساعة وحتى هذه الساعة وعلى الهواء مباشرة، كانت الجبهة الشمالية في فلسطين المحتلة تمارس التعتيم والرقابة العسكرية الدائمة، للتكتم على الخسائر في الأرواح من المدنيين والعسكريين، والحفاظ على الروح المعنوية لجيش العدوّ ودفع المستوطنين إلى التماسك وعدم الانهيار»، مشدّداً على أن «العدوّ خسر المعركة الإعلامية والنفسية، كما خسر الحرب». وأشار الى أنه رغم وجود «قنوات ومؤسسات وإعلاميين ناصبوا المقاومة العداء على مدى سنوات، لكننا بمهنية تامة أقمنا علاقات مفتوحة مع الجميع وقدّمنا لهم التسهيلات»، لافتاً إلى أن ذلك «لا يمنع إدانة الانحياز الصريح إلى جانب العدوّ من بعض الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية، وخصوصاً العربية منها، التي تحوّلت أبواقاً له وشريكة في الحرب النفسية ضد المقاومة». ونوّه بالتعاون بين حزب الله ووزارة الإعلام والجيش اللبناني لتنسيق عمل «الطواقم الصحافية كافة دون تمييز أو استثناء ودون تقيّد بالمواقف المسبقة». وتوجّه إلى المكرّمين بأن المقاومة «لم تنتظر المقاومة انتهاء المعركة وإعلان النصر لتكريم الزملاء اللبنانيين الذين يعملون لمؤسسات محلية وعربية»، مشيراً إلى استلهام شعار «إعلاميون على طريق القدس» من «شهداء على طريق القدس». وقال عفيف: «هم الشهداء وأنتم الشهود، نقلتم بطولات المقاومين وصبر عوائل الشهداء وتمسك الجنوبيين بوطنهم، فوجب تكريمكم».

وفي ختام الحفل، وزّعت الدروع التكريمية على الزملاء: علي شعيب، بثينة عليق، سمير الحسن، إدمون ساسين، حسن فقيه، الزميلة في «الأخبار» أمال خليل، كارمن جوخدار، كريستينا عاصي، مازن إبراهيم، حسين عز الدين، حنا أيوب، زياد حرفوش، علي مرتضى، محمد فرحات وعائلات الشهداء؛ مصور رويترز عصام العبدالله ومراسلة الميادين فرح عمر والمصوّر ربيع معماري.

مكاري وعفيف يكرمان الزميل علي شعيب

... والزميلة آمال خليل (مروان بو حيدر)

تقرير

عصابات منظّمة و«هدايا حطب» لنافذين وأمنيين وسياسيين

«اختفاء» ربع المساحات الحرجية في عكار

زينب حمود

في التاسع من كانون الثاني الماضي، سطّر حارس أحراج في جبل البيرة (قضاء عكار) محضراً بـ«قطع 700 شجرة معمّرة من السنديان والعفص والصنوبر والشربين، بعضها يزيد عمرها على 300 سنة بطريقة وحشية»، مشيراً إلى أن الفراغات الخالية من الأشجار في الجبل، بسبب القطع والحرق، «تبلغ مساحتها 355 ألف متر مربّع».

منذ سنوات، يتعرّض الجبل الغني بأشجار البلوطية والإبرية والعطرية والطبية، والذي يُعدّ متنفساً للراحة والاستجمام لأهالي المنطقة، لحرائق متعمّدة ولقطع جائر تحت غطاء رخص التشحيل، كل ذلك طاول عدداً كبيراً من أشجار السنديان والكينا والحرجيات، ما أدّى عام 2019 إلى انهيارات تحصل للمرة الأولى في الجبل بسبب تساقط الأمطار وانحسار الغطاء النباتي.

وبعدما صارت تجارة الحطب مربحة إثر ارتفاع أسعار المازوت، سادت أخيراً موضة «السطو» على الأشجار المعمّرة من الأملاك العامة والخاصة على أيدي عصابات منظّمة في عكار والبقاع وإقليم الخروب وغيرها. ففي بلدة شحيم، في قضاء الشوف، اقتلع مجهولون قبل أيام 70 شجرة سنديان معمّرة وعدداً من أشجار الزيتون في أرض يملكها عوني نجم الدين الذي قال إنه «رغم أن الحادثة ليست الأولى من نوعها. إلا أنها المجزرة الكبرى»، مؤكداً أن «هذه ليست سرقة بغرض التدفئة، ولو كانت كذلك لقطعوا شجرتين تكفيانهم طوال فصل الشتاء».

وبيّن تحقيق استقصائي بعنوان «قطع الأشجار في عكار من تجاوز فردي إلى تجارة عامة» (أعدّه وفيق الهواري) لـ«الحركة البيئية اللبنانية»، أنّ 25% من المساحات الحرجية في منطقة عكار تعرّضت للقطع، معظمها من أشجار السنديان والأرز والصنوبر واللزّاب المعمّرة. بسبب القطع الجائر، خسرت منطقتا فنيدق والقموعة 25% من غاباتهما الحرجية (20 مليون متر مربع) في السنوات الثلاث الأخيرة فقط، فيما خسرت بلدة بزبينا 10% من أحراجها (250 هكتاراً)، وتراجعت المساحات الحرجية في بلدة بيتو من كيلومترين مربّعين إلى 0,5 كلم مربّع فقط. وينقل التحقيق عن مختار بلدة ممنع إبراهيم حنا أن «الحرج المشترك بين بلدتي ممنع وتكريت، والذي تبلغ مساحته أكثر من 200 ألف متر مربع، تحوّل إلى صحراء».

اللافت أن العصابات المنظّمة، في عكار مثلاً، باتت تعمل علناً، ولا تتردّد في استخدام السلاح وتهديد أصحاب الأراضي في حال قدّموا شكاوى. وتلفت ميرا مخّول، من بلدة ممنع، إلى أن «مجموعة من الأشخاص أقدمت في السابع من كانون الثاني الماضي على قطع أشجار معمّرة في أرض يملكها طوني مخّول. وعندما حاول منع أفرادها، وجّهوا إليه الشتائم وأطلقوا عليه النار». ويؤكد ناشطون في عكار أنّ «قطع الأشجار مستمرّ على مدار الساعة، وتشهد على ذلك أصوات المناشير في كل مكان». لافتين إلى أنّ «الفاعلين هم من أهالي القرية والقرى المجاورة، إضافة إلى طفار ممّن نظّموا عصابات تتقاسم المناطق الحرجية، ويشتبك بعضُها مع بعض بسبب الخلاف على الحدود»!

ويؤكد الناشطون أن هذه العصابات تستمد «جراتها» من شبكة علاقات تربطها برؤساء بلديات ورؤساء مخافر ونافذين من نوابٍ حاليين وسابقين في المنطقة، ممن «تُقدّم إليهم هدايا من الحطب». ويؤكد أحد رؤساء البلديات في عكار تواطؤ رئيس المخفر في بلدته مع السارقين، فـ«عندما ننتقدم بشكوى في المخفر ضدّ مجموعة تقطع أشجاراً وتطلب التدخل الفوري، يعتذرون بحجة عدم توفّر الآليات. وعندما نضع آلياتنا في تصرفهم، وقبل أن نصل إلى مسرح الجريمة، ينسحب المعتدون، ويُقفل الملف تحت عنوان بلاغ كاذب. أما إذا حصل واستجابت الأجهزة الأمنية وأوقفت بعضهم، فيُفرج عنهم خلال 24 ساعة».

«سطو بقوة السلاح» على الأشجار المعمّرة وتحذيرات لأصحاب الأراضي من التقدّم بشكاوى (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4517

أفقيا

1- بلدة لبنانية في قضاء جزين – 2- شاعر لبناني راحل – 3- حجر منقور – مدينة فلسطينية – انقطع الحبل – 4- دق الجرس – أشهر ملوك الدولة البابلية – 5- تبادل الحديث – وثب وسطا عليه – 6- أولاد – ماركة سيارات – 7- وحدة قياس السوائل – أحد رؤساء الغستابو زمن المانيا النازية – 8- لاصق النسب – فتاة – 9- من مشتقات الحليب – حزن وكرب – 10- نهر لبناني

عمودياً

1- بلدة لبنانية في قضاء صور – هجم – 2- مدينة أوكرانية – 3- قرض ذو أجل – قتل النفس – 4- من أعضاء الجسم – بلدة لبنانية في قضاء عكار – نوتة موسيقية – 5- ملح مُحكم الدقّ – أكبر سلسلة جبال في أوروبا – 6- مدرسة بالأجنبية – ضبع – 7- أطول أنهر فرنسا – مسّنا – 8- قلب – فنانة سورية – 9- تُسرع بالعمل قبل غيرها – تيه وضلال – 10- بلدة لبنانية في قضاء عكار – رؤوس الجبال

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- ميكونوس – زي – 2- رابله – خوفو – 3- رياض – أيل – 4- دشّ – مرهم – ري – 5- أبم – يروم – 6- برغ – أجراس – 7- تل – كدّق – 8- هدى شعراوي – 9- شاي – ني – لص – 10- هنري – نبيّ

عمودياً

1- مرج دابق – شه – 2- يا – شير – هان – 3- كبر – مقادير – 4- وليم – 5- نهاري – تشنّ – 6- ضهر العين – 7- سخ – موج – 8- وا – مركالي – 9- زفير – ادوم – 10- بوليوس قيصر

sudoku 4517

5	2		6				1	
	4	8		7	1			
3		7			5			6
4			7		9	6		
	3			4			7	
		1	2					8
9			1			2		
			4	9	6	7		
	7				2		6	4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4516

9	1	8	6	4	3	5	2	7
5	6	2	1	7	9	3	8	4
3	4	7	5	2	8	6	9	1
2	3	6	9	1	4	7	5	8
8	9	1	3	5	7	4	6	2
7	5	4	8	6	2	1	3	9
1	2	5	4	8	6	9	7	3
6	7	9	2	3	1	8	4	5
4	8	3	7	9	5	2	1	6

مشاهير 4517

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة ومنتجة أميركية. صُنفت عام 2007 من الأغنياء المشهورين

4+2+7+4+3+1 = ملك الأسفار ■ 6+9+8+11 = مشروب غازي ■ 3+10+5 = نهر فرنسي

حل الشبكة الماضية: **سامر ابو هواش**

إعداد
نعوم مسعود

وفيات ◄

نقابة أطباء لبنان في بيروت تنعى بمزيد من الحزن والأسى **الدكتور أسامة محمد الحاج** سائلة الله تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويُلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

الأخبار
al-akhbar
السبت 3 شباط 2024 العدد 5124

ما وراء الكواليس

BBC في أحضان السعودية
محتوى للأطفال على «شاهد»

زينة حداد

لم يمرّ أسبوع على عرض «بي. بي. سي. نيوز. عربي» وثائقي «المرتزقة الأميركيون... مهام اغتيال في اليمن» الذي تحمّل فيه الإمارات مسؤولية الاغتيالات في اليمن فيما تغسل يد السعودية منها (الأخبار 2024/1/26)، حتى كشفت الشبكة البريطانية عن تعاقدها مع مجموعة mbc السعودية.

بعد عرض الفيلم الذي أعدّته وقدّمته الصحافية اليمنية نوال المقحفي ويدور حول تعاقد الإماراتيين مع مرتزقة أميركيين من مجموعة عمليات «سبير» لارتكاب جرائم القتل في جنوب اليمن، كان الجميع يتوقّع طبيعة التعاون المقبل بين الشبكة البريطانية والسعوديين. بثّ الشريط في هذا التوقيت من الصراع بين السعوديين والإماراتيين ليس بريئاً، وخصوصاً بعدما ارتكب «التحالف السعودي الإماراتي» جرائم بحق اليمنيين منذ عام 2015. كما يمكن أن يُقرأ بين الأسطر أنّ الشريط مقدّمة لارتماء «بي. بي. سي» في أحضان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، والعمل على تلميع صورته.

في هذا السياق، وقّعت استديوات bbc صفقةً إعلاميةً مع mbc لإطلاق محتوى الشبكة الإنكليزية المخصّص للأطفال على منصة «شاهد» التي تنضوي تحت مظلة الشبكة السعودية.

سيكون الجمهور العربي على موعد مع JoJo and Gran Gran

وبموجب الاتفاق، من المقرّر أن تقدّم bbc kids مئتي ساعة من البرامج المدبلجة بالكامل إلى اللغة العربية على التطبيق المعروف. وينصّ الاتفاق على بثّ مجموعة برامج تُعنى بالأطفال مثل Junior Bake Off، إضافة إلى مسلسلات رسوم متحرّكة من بينها JoJo and Gran Gran. كما سيعرض مسلسل التحريك Hey Duggee في ثلاثة مواسم، للمرّة الأولى مجاناً في الإمارات والسعودية ومصر وشمال أفريقيا عبر قناة الأطفال MBC3.

على الضفة نفسها، نشر موقع bbc خبر التعاون مع القناة السعودية التي يديرها MBS. ونقل في بيان صحافي عن أندريا رامان، مديرة تطوير الأعمال لدول الشمال والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وتركيا في استوديوات bbc، قولها: «نحن متحمّسون لتعاون bbc kids و«شاهد»، ما يسمح لمحتوانا الذي نال استحسان النقاد، بالتواصل مع جمهور أوسع في الشرق الأوسط وتعزيز تجربة الترفيه للأطفال والعائلات».

من جانبه، لفت مدير المحتوى في «شاهد»، طارق الإبراهيم، إلى أنّه مع عرض محتوى «بي بي سي كيدز»، فـ «إنّنا نجلب المزيد من المحتوى المعروف عالمياً والحائز جوائز عدة، إلى منطقة الشرق الأوسط عبر قنوات MBC»».

يذكر أنّ الأنظار تتجه حالياً نحو إمكانية افتتاح استديوات موسّعة لـ «بي. بي. سي» في السعودية، في سياق خطط الرياض الرامية إلى جذب الإعلام الأجنبي والعربي إليها، إذ يجري العمل حالياً على بناء مدينة إعلام ضخمة ستنافس تلك الموجودة في دبي.

في وسط الزحمة

بول مخلوف

انتشر على وسائل التواصل الاجتماعي في الأيام الأخيرة فيديو سجّله سائح عربي وصل إلى لبنان، يظهر فيه سياراتٍ تمرّ وأخرى تتوقّف، في حركة سير تعتبر عادية جداً، بيد أنها أصابته بالذهول. مشهد السيارات الذي صوّره السائح يحدث في شارعٍ وصفه بالضيق، على الضفة الأخرى منه شارع يضاهيه حجماً، أي إنه ضيق بدوره، والشارعان اللذان تحيط بهما أبنية شاهقة، لا حاويات قمامة قريبة منهما، سيصفهما السائح بأنهما شارعان نظيفان و«كيوت»، أي إن مشهد الشارعين يتحلّى بـ«نعومة»، ما يمتّع الناظر ويريح نظره. نسمع السائح المتواري خلف الكاميرا يعلّق بدهشة عارمة تكاد تطيح صوته، على طريقة تعامل اللبنانيّين في قيادة سياراتهم وكيف يتعاملون بعضهم مع بعض في الطريق. لا شيء يبدو استثنائياً في الفيديو: مجموعة من السيارات في الشارع، بعضها يتوقف لكي يمرّ غيره، إشارات المرور معطلّة بطبيعة الحال، والكثير من الهدوء الحذر الذي تستطيع سماعه رغم كلام السائح المستمر، ومديحه المزعج، وضجيج الشارع.

في مشهدٍ مفرط بـ«عاديّته» اختار السائح العربي أن يترجم المشهد الماثل أمامه سيميائياً، أي بلغة العلامات. أخذ من «نظافة» الطريق، والشارعين «الناعمين»، ومسار السيارات في المرور وفي التوقف، عناصر راسخة ارتأى أنها تشكّل بتفاعلها بعضها مع بعض سياقاً «متناغماً» و«متفاهماً»، كما جاء على لسانه. سيخلص السائح العربي الغارق بدهشته حتى العماء إلى أن هذا السياق السلِس، «المتناغم» و«المتفاهم»، يقول أكثر مما يبدو عليه؛ إنّ هذا «التناغم» و«التفاهم» ميزتان حضاريتان بادئ ذي بدء، ثم إنهما تدلّان على «جوهر» شعب يتكلّم بعضه مع بعض بطلاقة، فضلاً عن أنه يتقن لغته جيداً. وكأن هذه اللغة الناصعة والحضارية هي ما يجعل من قيادة السيارات فعلاً استثنائياً غير عادي، ولأنها جوهرية فلا تتوانى هذه اللغة عن ترجمة نفسها في مواقف مهما بدت هامشية أو عابرة، إلّا أنّها تصقل هذه المواقف إلى مصاف الجميل. وحيث هناك بلدانٌ تحوي شعوباً لا تتحلى «جوهرياً» بما يمتاز به اللبناني، إنما «جوهرها» بعيد تماماً عنه ولا يقارن مع جوهره، فإن لغة تلك الشعوب تركن إلى النقيض: هي متبعثرة، ركيكة بل متقلقلة، بالتالي، ستكون نتيجة طرقات البلدان التي تعيش فيها تلك الشعوب كارثية، وأحوال السير فيها مأساوية، والمشهد، منطقياً، لن يكون «كيوت» إطلاقاً. هكذا، استنتج السائح العربي أنّ النقص الذي يعتري بلاده يعود إلى وجود «شعبٍ» (لن نذكر جنسيّته) جوهره هجين ولغته هشّة. وبدورنا، في وسعنا أن نفهم على الطريقة السيميائية نفسها أن سبب سياحته إلى لبنان في موسم غير سياحيّ يعود على الأرجح إلى التفتيش عن فسحةٍ متخيّلة والتشدّق بها، وإكثار المديح فيها، هكذا يعوّض العنصري عن عنصريّته.

غير أنّ السائح الذي يتعامل مع لغة العلامات بطريقةٍ كاريكاتورية كان لا بدّ من صوت زمور عالٍ حتى يتوقف، ذلك أنّ استنباطه لطبائع شعبٍ عبر مراقبته لحركة السير يشبه تناول الحساء بالملعقة. عدا عن خيار الأخير تصوير «نظريته» في شارعٍ يحتاج اللبناني إلى معجم حتى يفهم لغته، بسبب «جوهر» ذلك الشارع الخاصّ، فقد غاب عن بال السائح أنه لو اتّبع منهجاً صارماً في قراءته السيميائية تلك، لربما كان قد وصل إلى خلاصاتٍ جمّة، لخّصت له كتباً تاريخية كثيرة، وكانت من دون شكّ ستغيّر له رأيه في مسألة السياحة.

لا تهدأ السيارات عن الذهاب والمجيء، لا تكفّ عن المرور يميناً ويساراً، ولو كان الأمر بيد سائقها لكان وضع أجنحة على أبوابها وطار عالياً. في شوارع أخرى ليست «كيوت» (وهي كثيرة وهي ما يميّز البلد الذي أتى إليه سائحاً) سيكون ذلك السائح على موعدٍ مع لغةٍ ليست «متفاهمة» و«متناغمة» بل أقرب إلى مونولوغ ساخط، زاخر بالشتائم، والوجوه حمراء تلقي مونولوغاتها بنبرة عالية، وكأنها تعترف بأنها جاهزة لخوض جولة جديدة من الحرب الأهلية. لا دخل لطبائع «جوهرية» ومزايا حضارية ثابتة هنا، الاهتراء سابق على اللغة والوقوع في النتوءات سهل، لذلك عندما تشتغل إشارة المرور، قد يتحوّل ذلك الشارع «الكيوت» إلى محل كبير للخردوات.

تغدو الطريق استعارة عن المصير إذاً. السيارات كثيرة والشوارع ضيّقة. يمكن فهم هذه الزحمة على أنها نتيجة الإسراع في إنهاء الأمور العالقة، أو أنها واحدنا العالق في هذا الاهتراء الذي يستحيل الانفكاك عنه. يبقى أنه وسط هذه الزحمة هي الأشياء التي تتحدّث بلساننا مهما حاولنا الارتجال من حينٍ إلى آخر. العالق في وسط الزحمة عاجز عن أن يكون سائحاً، قد يذعن لأحلام يقظته ويحلم بالطيران، وقد يخبرنا عن الزحمة وعن الطريق في هذا العدد، كما حدث.

لقراءة ملحق «إنما»

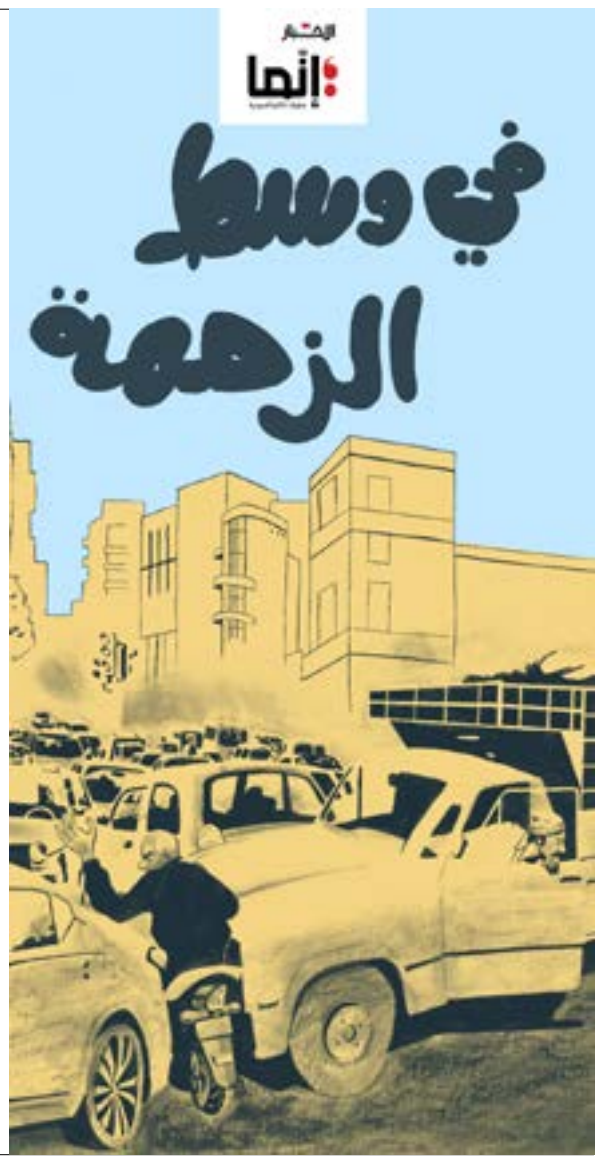

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 3 شباط 2024
العدد 5124 السنة الثامنة عشرة
Samedi 3 Février 2024 nº 5124 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

اسمي ميار. عمري 12 سنة
رفضت أمي أن تكتب أسماءنا على أطرافنا
قالت أريدكم كاملين كما أنتم
لن يموت أحد دوني
أحفظكم جيداً عند الموت وسنبقى معاً

(ص 2-3)

من تجهيز «تهالك» (طين ـ 2014) للفنان الغزي إياد صباح

طوفان الأقصى

عن منشورات «مرفأ» المنطلقة حديثاً في بيروت برؤية شبابية مستقلة، ومواكبة للّحظة الفلسطينية المغمّسة بالدم، صدر حديثاً «كتاب الوصايا ــ شهادات مبدعات ومبدعين من غزّة في مواجهة الموت» (2024). يرصد الكتاب الذي أطلقت فكرته وحررته الشاعرة والمترجمة الفلسطينية ريم غنايم تلك اللحظة الهشّة والقاسية على حد سواء بين الحياة والموت وحبل الكتابة بينهما في مرحلة مفصليّة في التاريخ الفلسطينيّ الحديث: حرب الإبادة على غزّة. يجمع الكتاب نصوصاً مكتوبة باللحم العاري لكتّاب من غزة، مشاريع شهداء من مختلف الأعمار وصاياهم -شهاداتهم في لحظات مصيريّة تفصل بين صمودهم وبين موتهم تحت الأنقاض: «تُهندِسُ هذه الوصايا والشهادات شعريّة جديدة وتقبضُ على المعنى مرّة وتفلته مرّات. وتصنع للمشهد الأدبيّ الفلسطينيّ عموماً، التفكير في العلاقة مع اللغة والكتابة بين الضّمت والصوت، ومدلولات المعنى الكامن فيهما بما يتجاوزهما أيضاً». يحتوي الكتاب كذلك على شهادتين في غاية الأهمية صدّرت بهما غنايم العمل: الأولى للكاتب الأرجنتيني الكندي البرتو مانغويل تحت عنوان «بيانٌ ضدّ الموت»، والثانية تحمل عنوان «بين الأحياء والأموات» للكاتبة والناقدة الأميركية جوديث بتلر. أهمية هذا الكتاب الذي نعرض باقة منه في «كلمات»، تكمن في أسئلته الكثيرة التي تطرحها هذه النصوص على القارئ. أسئلة ترتبط بمعنى الكتابة وجدواها كطاقة للخلق في مواجهة الخراب، وكيف تتحول الكلمات إلى مواجهة حقيقيّة جمعيّة تمنح الضحيّة سلطة الاكتمال والمقولة الأخيرة والموقف الأخير. ويصبح الشعر أقحوانة الدم في الأرض اليباب

مقدمة واختيار **محمد ناصر الدين**

مبدعون من غزّة يدوّنون «كتاب الوصايا»

الشعر أقحوانة الدم في الأرض اليباب

1- بيانٌ ضدّ الموت

البرتو مانغويل

إذا كان الصمت بالنسبة إلى المُنشِد هو أعلى تسبيح لله الذي لا يوصف والذي لا يمكن معرفته (مزمور 65: 2)، فيجب علينا أن نوضح أن الصمت، مثل العدَم، لن يكون أبداً جديراً بالثناء كطريق لمواجهة الصراع البشري (رثر كيرون)

«كتاب الوصايا» هو مختارات لأصوات قادمة من اليباب، أصوات سكان غزة اليوم. بعض هؤلاء الشهود رحلوا عن العالم بعد تدوين هذه الكلمات؛ وآخرون أسكتهم اليأس. إحدى هذه الوصايا كتبها سليم نفار، شاعر ارتقى مع أفراد عائلته في قصف وقع بعد وقت وجيز من كتابتها. وفتاة تبلغ 17 عاماً، وهي ابنة لكاتبة معروفة من غزة تتواجد في ألمانيا منذ العام الماضي فيما عائلتها عالقة الآن في قطاع غزة. نصّها المدرج في الكتاب هو من ضمن النصوص الأخيرة التي تلقّتها الأمّ من ابنتها. لكنّ الوصايا برمّتها جوهريّة في مواجهة سؤال ما الذي يجعلنا بشراً. في ظهيرة أحد الأيام، في عصور ما قبل التاريخ القصيّة، حدث شيء ما في التطور البيولوجي لأسلافنا، ما أدى إلى تحوّل جنسنا إلى كائنات بشرية واعية. لكن، منذ ظهيرة ذلك اليوم، لم نفهم تماماً ما الذي يستلزمه الوعي. لقد مكّنتنا أداة الخيال، التي طوّرناها، من النجاة في عالم موسوم بديمومة الخطر، عبر الاستفادة من تجارب لم نشعر بها قط في الجسد، وعبر قدرتنا على تصوّر وجود محيطنا الطبيعي ووجود إخواننا من الخيال. إدراك الآخرين باعتبارهم مختلفين عنّا، لكنهم مساوون لنا، أعطانا فكرة عن هوياتنا عبر مرايا حيّة تعكس مخاوفنا ورغباتنا. وبهذا نكون أكثر وعياً بعالمتنا من الهتنا المحيطة علماً بكلّ شيء والمكتفية بذاتها. يمكن للآلهة أن توجد في عزلتها الإلهية؛ أما نحن فلا نستطيع. نحن في حاجة إلى الآخرين من أجل البقاء.

اللغة أداة ضعيفة. لكن، ورغم استحالة إيجاد لغة مناسبة تتناول معاناة الضحية، عندما نواجه تلك المعاناة، فإنّ حالتنا الإنسانية تدفعنا إلى الكلام. على نحو متردد يفتقر إلى الدقة، وعبر المقارنات والتلميحات، نحاول استحضار الرعب الذي نشهده عن طريق ما يشبه تعويذة السحرة، حيوية بعض الشيء، تحذيرية إلى حد ما. في كل مرة ننطق فيها كلمات جديدة، نخلق في تحقيق هدفنا الأساسي، لكننا لا نزال نحاول، وعلى مرّ القرون. كل إنسان يمتلك اللغة المتاحة له: يستخدم المؤرخون السجلات الوثائقية، ويستخدم العلماء الحقائق الملموسة، والموسيقيون والفنانون البصريون الصوت واللون، وصانعو الأفلام الصور المتحركة، والشعراء الكلمات مهما كانت باهتة. والقرّاء (مثلي) ذاكرة الصفحات التي تمت زيارتها.

عندما رُفّت الإلهة أثينا، في مسرحية قديمة لسوفوكليس، إلى يوليسيس، تلميذها، خبر تعرّض أياكس، غريمه، للعنة نوائب لا نهاية لها، قدّم يوليسيس رداً مفجعاً جعل الملك اليوناني فجأة أكثر نبلاً من الحكيم ومن الإلهة المتعطشة للدماء. يقول يوليسيس: «قد يكون المرء التعيس عدواً لي، إلا أنني أشفق لحاله وأنا أراه مثقلاً بالمحنة. حقيقةً، أتوجه بأفكاري نحو نفسي أكثر من اتجاهه، لأنني أرى بوضوح أننا نحن جميعاً على هذه الأرض، لسنا سوى أشباح أو ظلال عديمة الوزن».

أدرك سوفوكليس أنه مهما كان تركيز الكاتب على لحظة مأساة عائلته في قصف وقع بعد وقت وجيز من كتابتها، وفتاة تبلغ 17 عاماً، وهي ابنة لكاتبة معروفة من غزة تتواجد في ألمانيا منذ العام الماضي فيما عائلتها عالقة الآن في قطاع غزة. نصّها المدرج في الكتاب هو من ضمن النصوص الأخيرة التي تلقّتها الأمّ من ابنتها. لكنّ الوصايا برمّتها جوهريّة في مواجهة سؤال ما الذي يجعلنا بشراً. في ظهيرة أحد الأيام، في عصور ما قبل التاريخ القصيّة، حدث شيء ما في التطور البيولوجي لأسلافنا، ما أدى إلى تحوّل جنسنا إلى كائنات بشرية واعية. لكن، منذ ظهيرة ذلك اليوم، لم نفهم تماماً ما الذي يستلزمه الوعي. لقد مكّنتنا أداة الخيال، التي طوّرناها، من النجاة في عالم موسوم بديمومة الخطر، عبر الاستفادة من تجارب لم نشعر بها قط في الجسد، وعبر قدرتنا على تصوّر وجود محيطنا الطبيعي ووجود إخواننا من الخيال. إدراك الآخرين باعتبارهم مختلفين عنّا، لكنهم مساوون لنا، أعطانا فكرة عن هوياتنا عبر مرايا حيّة تعكس مخاوفنا ورغباتنا. وبهذا نكون أكثر وعياً بعالمتنا من الهتنا المحيطة علماً بكلّ شيء والمكتفية بذاتها. يمكن للآلهة أن توجد في عزلتها الإلهية؛ أما نحن فلا نستطيع. نحن في حاجة إلى الآخرين من أجل البقاء.

أن أولئك الذين «أتقنوا التعليمات» عبر ممارسة العنف سوف يلاحقهم الغضب الانتقامي، لكنهم اعتقدوا أيضاً أن تصعيد الدم يمكنه، بل عليه، أن يتوقف. لهذا السبب، حققت الإلهة أثينا (هي نفسها التي تعلّمت التعاطف من البشر) معجزة الاسترضاء هذه عبر تحويل الغاضبين (فيوريس) إلى رؤوفين (يومينيديس)، خيّرين. هذا التحول دليل على الاعتقاد اليوناني بأن اللغة، عبر منح القوة التدميرية اسماً شافياً، قادرة بالفعل على إحداث التغيير، حتى لو لم تنجح في منع ولادة معاناة جديدة، أو نقل التجربة الفعلية لأصحاب المعاناة أنفسهم. لقد أسندوا هذا الدور إلى كاليوب، ابنة الذاكرة وملهمة الشعر الملحمي.

لكن، ولأن كلمات الشاعر، على وجه التحديد، لا تصل أبداً، مهما كانت استثنائية، إلى عُمق ألم الضحية، فإن كلمات الضحايا - الكلمات التي لا تطمح إلى الشعر، وإنما فقط لتأكيد وجود قائليها - تصبح ضرورية. كلمات المقاتلين تقول «أنا» أو «كنت»؛ وكلمات الشعراء تقول: «سيظلون كذلك». يأتي الشعر لاحقاً، بعد الواقعة، دائراً حول رأس الجلاد، ينطبق بالظلم المقترَف من أجل الأجيال القادمة. لكن حتى في تلك الحالة، حتى في أعظم الشعر، ألسنة الضحايا وحدها هي ألسنة اللهب. «إياكم أن تنظروا إلى مراياكم»، تحذّر إحدى الوصايا، «لأنكم إذا فعلتم فسترون دماءنا على وجوهكم».

أحياناً، يفقد الشعراء الأمل في الكلمات. في عام 1982، انتحر الشاعر خليل حاوي احتجاجاً على الغزو الإسرائيلي للبنان: هذا واحدٌ من ضمن الخيارات. لا يزال آخرون يعتقدون أنهم قادرون على ترديد صدى الألسنة المشتعلة. يرى محمود درويش، مثلاً، أنه بسبب إخفاق اللغة في إيصال أعمق حالات المعاناة، كان على الشاعر أن يواصل الكتابة، مستخدماً الكلمات ضد ضعف الكلمات. ربما سيظهر سوفوكليس آخر، سوفوكليس آخر يتواصل رجع كلماته طويلاً بعد أن يصير فمه غباراً. لكن ليس هذا جوهر الأمر. كلمات الضحايا، كما يتردد صداها في كتاب الوصايا، لا تتطلب السمات التقليدية للصنعة التي نطلق عليها لقب «الأدب». فتعبيرهم كافٍ ليكون بياناً ضد الموت، لأنه، حتى في غمرة الموت التي تبرهنها هذه الوصايا، تقول هذه الأصوات: «نحن هنا».

2- بين الأحياء والأموات

جوديث بتلر

من تخاطب هذه الكتابات؟ هل من مستمع؟ هل يُمكن الوصولُ إلى العالم عبر هذه الكتابات؟ إذا كنّا نتوقع من وصيّة أخيرة وبيان شهادة بالأماني الأخيرة حول ما سيتم نقله، فإن مثل هذه الوثائق تبدو مستحيلة في ضوء الدمار الهائل الذي حلّ بحياة الفلسطينيين ومنازلهم على يد القوات الإسرائيلية. مع ذلك، فإن الأمنية الأخيرة تبدو منطقية بشكل مطلق حتى في ظل ظروف الأسى الملاحتمل من جانب أولئك الذين يتوقعون موتهم أيضاً.

هذه الوصايا مرّوعة، وبحقّ. يفعل المذبحة التي أودت بحياة أولئك الذين يحبونهم، أولئك الذين بالكاد يعرفونهم، أو أولئك الذين جاؤوا من أجلهم، أو قد سبق وجاؤوا. كل فعل كتابة يخاطب شخصاً ما، يخاطب غزة نفسها، أو المستقبل، الأطفال الذين يأملون في النجاة. كل فعل كتابة هو أيضاً نداء، يسألنا أين نحن. القراء. الأحياء كي نقرأ هذه الكلمات. سواء تحدثنا، استجبنا، سعينا إلى استجابة المؤسسات العالمية؟ ويسألون عما نراه في المرآة، وهل سمعنا الأصوات، وهل قاومنا ما سمّيناه بالإبادة الجماعية.

لقد ناشدت كل كلمة من هذه الكلمات أو مترجمةً، حتّى تجعل من مسألة عدم معرفة ما عاناه الفلسطينيون تحت الهجوم الوحشي الذي شنّته القاذفات والقتلة الإسرائيليون، أمراً مستحيلاً. كل كلمة تناشدنا بأن ينصبّ اهتمامنا على محنة هذه الأرواح، ومعاناتها وصمودها، هذه الحيوات التي تعيش كل لحظة مع موتها العنيف شبه المؤكّد. هذه كلمات مكتوبة للعالم، تناشدنا بأن نرى ونسمع ونتخيّل ونفعل.

ما هي الوصية الأخيرة؟ إنها آخر ما تبقّى من رغبةٍ وأمل. ما هي الشهادة؟ إنها تمنحنا شذرات من حياة لا تزال على قيد الحياة، بينما تسبر غور مستقبل حياة لم تعد على قيد الحياة. تسأل الوصية هنا تبقى من الرغبة في مواجهة هذه الوحشية، وهذا الدمار الشامل. حتى في الوقت الذي لا يتبقى شيء يمكن تقديمه، تظل الوصية بمثابة فعل كتابة، وتنقل الكلمات التي تحمل آثار حياة زائلة وأخرى قادمة، كلمات تم جمعها قسراً للإصرار على أواصر التضامن بين الأحياء والأموات.

3- على قبري

سعيد عبد العزيز أبو غزة

في اليوم الثالث والعشرين من الحرب المتوحّشة على المدنيين في غزة أكتبُ وصيتي هذه. لم أنم هذه الليلة البتّة، صواريخ الطائرات الحربية تقصف في كل الأرجاء، المدفعية الحدودية تُلقي قذائفها العمياء، الزوارق الحربية تُطلق نيران الرشاشات الثقيلة من دون توقف وأنا أختبئ مع عائلتي في زاوية مُظلمة هرباً من الموت الذي يزحف ليحتلّ صدورنا الموجعة من هلع الحرب.

أوصي، أنا الروائي الفلسطينيّ سعيد عبد العزيز أبو غزة، أقطن مدينة دير البلح وسط قطاع غزة، بأن تُطبع مخطوطات رواياتي ونصوصي الأدبية التي أصبحت في مكانٍ آمن في مدينة رام الله، وأن يرصد ريعها لتأسيس معهد أدبي لتعليم الفتية والصغار على الكتابة الأدبية. أوصي أن تُجمع دموع ابنتي: د. بيسان، د. بلسم، صبا، إذا لم تموتا في صدري ويقبتا على قيد الحياة، في قنينة عطرٍ فارغة وتدفن في قبري.

أوصي أن أُدفنَ في قبر أمي إن أمكن ذلك، لأشعر بالأمان فأنا أتوق إلى لحظة دفء أمنة في حضن أمي، أو أُدفن بجوار أيّ شهيدة أم.

أوصي كلّ سيدات قلبي أن يلبسنَ غور مستقبل حياة لم تعد على قيد الحياة. تسأل الوصية هنا تبقى من الرغبة في مواجهة هذه الوحشية، وهذا الدمار الشامل. حتى في الوقت الذي لا يتبقى شيء يمكن تقديمه، تظل الوصية بمثابة فعل كتابة، وتنقل الكلمات التي تحمل آثار حياة زائلة وأخرى قادمة، كلمات تم جمعها قسراً للإصرار على أواصر التضامن بين الأحياء والأموات.

3- على قبري

سعيد عبد العزيز أبو غزة

في اليوم الثالث والعشرين من الحرب المتوحّشة على المدنيين في غزة أكتبُ وصيتي هذه. لم أنم هذه الليلة البتّة، صواريخ الطائرات الحربية تقصف في كل الأرجاء، المدفعية الحدودية تُلقي قذائفها العمياء، الزوارق الحربية تُطلق نيران الرشاشات الثقيلة من دون توقف وأنا أختبئ مع عائلتي في زاوية مُظلمة هرباً من الموت الذي يزحف ليحتلّ صدورنا الموجعة من هلع الحرب.

أوصي، أنا الروائي الفلسطينيّ سعيد عبد العزيز أبو غزة، أقطن مدينة دير البلح وسط قطاع غزة، بأن تُطبع مخطوطات رواياتي ونصوصي الأدبية التي أصبحت في مكانٍ آمن في مدينة رام الله، وأن يرصد ريعها لتأسيس معهد أدبي لتعليم الفتية والصغار على الكتابة الأدبية. أوصي أن تُجمع دموع ابنتي: د. بيسان، د. بلسم، صبا، إذا لم تموتا في صدري ويقبتا على قيد الحياة، في قنينة عطرٍ فارغة وتدفن في قبري.

أوصي أن أُدفنَ في قبر أمي إن أمكن ذلك، لأشعر بالأمان فأنا أتوق إلى لحظة دفء أمنة في حضن أمي، أو أُدفن بجوار أيّ شهيدة أم.

أوصي كلّ سيدات قلبي أن يلبسنَ

من تجهيز «تعالك» (طيت ــ 2014) للفنان الفلسطيني إياد صيام

4- إعلان براءة

(1-11-2023) سليم النفار

25 يوماً من التطهير العرقي ضدّ شعبنا، حرب تقودها راعية البشر أميركا. 25 يوماً لم يعرف النوم جفوننا، وإذا غفونا لا نعرف إن كنّا سنصحو أم نواصل نومنا الأبدي، ولا أحد من العرب يحرك ساكناً يخفف من الامنا وأحزاننا التي طغت على قلوبنا وقلوب أهلنا.

لذلك، وصيّتي لأولادي إن قدر الله لكم الحياة أن تعلنوا البراءة من العرب، فواقع الأمر يدلّل بأنهم لا ينتمون إلى جنسنا، بل هم وقادتهم جزء من المؤامرة التي تستهدف إبادتنا.

5- وصيّة رجل حالم

يسري الغول

اعتقدت لوقت طويل أنني سأجلس على مقعدي الوثير، في ليلة ماطرة من مساء شتوي مثقل بالبرد، ينبعث صوت أم كلثوم وأنا أكتب وصيتي الأخيرة لأبنائي وزوجتي ومن يهتم لأمري، وللقراء الذين يظنون أنني شخص خارق.

وكنت كذلك، أحلم أنني سأكتب الوصية بقلم أزرق جاف من نوع فاخر، أضع النظارة على أرنبة أنفي، أحك شعري المجعد، المليء بالشيب، بجواري حبوب الضغط والسكري، أسجّل انكساراتي وخيباتي وتعاليمي ومواعظي. ولا أعرف كم سيكون عمري حينذاك، ربما ثلاثة وسبعون عاماً أو أكثر قليلاً، لكن المصيبة أنّ هذا الأمر لن يحدث بعدما انتشرت رائحة الحرب في الأرجاء، دُمّر بيتي وقُتل جيراني، نزحنا من مكان إلى آخر، من مركز إيواء إلى بيت صديق حميم إلى الشارع، لذا بتّ أنتظر الصاروخ كي يقضي على ما تبقى مني، فأنصرف عن الحياة بصخب كما فعلتْ الصواريخ اللعينة في قصصي ومدينتي.

إنّ ما جرى يفوق الخيال، ويتجاوز فكرة الانصراف إلى الكتابة في هذا الوقت العصيب؛ فتحريض العقل على طهي نص مسبوك لأجل صديقة محض هراء، أن نجمع الوصايا المتخمة بالموت في كتاب يوثّق اللحظة؛ كي نضع العالم أمام واجبه الأخلاقي تجاه الإنسان المهزوم في قطاع محاصر، يشبه المدن المتحضرة رغم لونه القاتم السواد، يسمى غزة. ولأنني مضطر أن أكتب وصيتي أيضاً، قررت تنفيذ عملية فدائية؛ لعلّي أحظى بهدنة قصيرة.

لذا فكرت أن أجمع شتاتي، التحم مع الجدران المدمرة، الأبنية المنهارة على رؤوس ساكنيها، أتضخم مع الحديد الذي اخترق أجساد الأطفال والنساء، وأصير ذلك العملاق، ربما أعظم من الهولك الأخضر، وأقوى من الأيرون- مان، أتحول إلى مخلوق يكبر كلما سار في الطرقات التي تنتشر فيها رائحة الدم والصواريخ والدمار الهائل، تلتصق بجسدي كتل الباطون والإسمنت والحجارة حتى أصير مثل عمالقة أفلام هوليود تماماً، كي أقضي على الدبابات التي قنصت ابن خالتي ودمرت بيت أخي، وإلتهم الطائرات المغيرة على الأبرياء كل دقيقة.

ترى: هل يمكن للقبضة الإسمنتية أن تتاثر بضرب الطائرات الحربية التي تمارس هوايتها باللعب فوق بيوتنا المتهالكة، تلك التي تسقط حممها البركانية بينما يضحك كابتن الطائرة لإصابته الهدف بدقة، وإنهاء حياة أطفال كانوا ينتظرون الذهاب إلى المدرسة، في جعبتهم حلم دراسة الهندسة عندما يكبرون؛ كي يعيدوا ترميم وترتيب البيوت مجدداً.

لقد قررت حقاً في البحث عن الوسيلة الناجعة لتدمير طائرات الـ F16 والـF35 والكواد كابتر والدرونز فجمعت الحديد في قبضتي لأضرب كل الطائرات المارقة، العابثة بكل تفاصيل الحياة، المتناحرة في هذا الكوكب الصدئ، لكنني اكتشفت عجزي وقلة حيلتي. ولأن اليد من لحم ودم، أوصي المجانين أمثالي، الغارقين في الخيال، أن يتحول بعضهم إلى زمّار يأخذ الأطفال إلى مغارة بعيدة، يعزف كل رجل فيهم مقطوعته الموسيقية عند الفجر ليذهب الملائكة الصغار إلى مغارة لا مكان فيها للموت، وأن يلبس البقية قناع زوربا، ليسرقوا الطعام والألعاب من بيوت الأغنياء.

هذه وصيتي التي لا أعرف إن كانت ستصل إلى أصحابها أم لا، وخصوصاً أن المخيم بلا إنترنت أو كهرباء، وصية شخص غارق في الخوف والأمل.

أرجو أن تصل بأي وسيلة، عبر الكوابيس أو الأحلام، أو عبر يمامة مهجرة، غارقة في التيه.

6- إن كنتُ ساموت

مصعب أبو توهة ـ ترجمة ريم غنايم

إن كنتُ ساموت
فليكن موتاً نظيفاً.
لا ركام فوق رفاتي
لا جروح في رأسي أو صدري
لا دمار في مَخدعي،
لا أنية ولا كؤوس متكسّرة.
أبقوا ستراتي
وسراويلي
حديدةَ الكيّ
على حالها،
في الخزانة
فقد أرتدي بعضاً منها بعدَ أن تمرّ
جنازتي
لا تؤذوا أطفالي، فلا يزال
العديد من كتب الشّعر
لتُقرأ،
والمزيد من الحكايات الخرافية
والقصائد الجديدة
لتُكتَب،
الكثير مما قد عشناه.

7- اسمي مِيار

ميار الجزار

اسمي ميار. عمري 12 سنة. أحب الكتابة والمسرح جداً، في السابع من أكتوبر كان من المقرر أن أشارك في مسرحية مدرسية عن أشجار الزيتون باللغة الإنكليزية. تدرّبت كثيراً على دوري وحفظته غيباً.

في أول أيام الحرب، لبست ثوبي الفلسطيني وتجهّزت للذهاب إلى المدرسة. كنت أتخيل نفسي أنني سأمشي على البساط الأحمر كممثلة مشهورة. لكنّ المنصة التي كنت سأقف عليها قد تدمّرت. فقدت صديقاتي وهن فقدن أدوارهن في المسرحية والحياة. مدرستي أصبحت مأوى للنازحين، ونسيت دوري تماماً. حتى أشجار الزيتون في مسرحيتي احترقت.

ربما أنا أيضاً سأغادر قريباً ولن أبقى.

رفضت أمي أن تكتب أسماءنا على أطرافنا.. قالت أريدكم كاملين كما أنتم. لن يموت أحد من دوني وأنا أحفظكم جيداً عند الموت وسنبقى معاً.

أعلم أنها خائفة من موتنا رغم كل القوة التي تظهرها.

أنا أيضاً خائفة من الموت وحدي من دون أمي وأخوتي، وخائفة أكثر من الحياة وحدي.

ننام جميعاً في غرفة واحدة متلاصقين.

لذا حين يقصف بيتنا، لا أريد أن يبحث عني أحد إذا ما مات أخوتي وأمي، أريد أن أبقى معهم في الحياة والموت.

وإذا فقدت أحد أطرافي، سأبقى أبحث عنه وأضعه تحت رأسي حتى أموت كلي ولا يبقى جزء مني يتحسّر.

أردت أن أقف على خشبة مسرح كبيرة والأضواء تراني.

أتمنى أن يضاء العالم بأكمله من أجل غزة المعتمة التي تنام من دون كهرباء.

صوت الزنّانات لا يخيفني ولكنه يقلقني، أريد أن أشتري سماعات وأشغل الموسيقى حتى تمل الزنانة وتعرف أنني لا أسمعها.

أريد أن أتعلم الزراعة حتى أزرع حقول قمح، ونصنع الخبز حتى في الحرب ولا أرى دمعة أمي حين لا تجد ما تصنع فيه طعاماً لنا.

أريد أن يكون لدي عجلة بلون زهري أركبها وأجوب الشوارع.

لم يكن حولنا يوماً شارع صالح لركوب العجلة.

أريد أن يكون لنا بيت، ولي غرفة ومكتبة مليئة بالقصص والكتب التي سأقرأها جميعها وأحافظ عليها حتى من الصواريخ.

أريد أن أسافر وأكتب عن العالم كله، لا أعرف هل سيكون هناك شوارع صالحة لركوب العجلات خارج غزة، سأتعلم كيف أركبها في شوارع مكسّرة.

أردت كل ذلك وأنا أعلم أنني ربما أموت من الطائرة التي تقصف الآن. ولكنني أحاول الهروب من خوفي.

فصل من رواية

من تحرير الجنوب عام 2000 (Lebanon Archives)

مهمّة في ديزنغوف (*)

فتح الله عمر

في بناية عادية في ضاحية بيروت الجنوبية، لا يمكن أن تلفت انتباه أحد، ثمة مكتب سفريات، في الطبقة الثانية، ذو شعبتين: داخلية ترفيهية، وخارجية تنظم رحلات سفر لبعض الدول، وأماكن الإقامة فيها، ومدتها. وإلى اليسار، حمّام ذو باب خلفي موصل إلى شقة صغيرة جعلها المقاومون غرفة عمليات معلوماتية. في هذه الغرفة، تظهر بضع شاشات مقطعة، وستة حواسيب محمولة، وشاشة كبيرة جداً، وهاتفان حديثان موصولان بشبكة الاتصالات الداخلية لـ «حزب الله». وإلى يمينها غرفة زجاجية مخصّصة لمسح المنطقة إلكترونياً منعاً لأي اختراق أو خلل أمني. وفي أقصى يسارها، طاولة اجتماعات كبيرة تحلّق حولها خمسة أمنيين من المقاومة يقودهم الحاج ساجد.

في بداية الاجتماع، كان الترقب سيد الموقف؛ إذ من المستحيل أن يدعو الحاج ساجد رجاله إلى الاجتماع قرابة منتصف الليل إن لم يكن الأمر جللاً. قرأ عليهم رسالة جاءته قبل ساعة واحدة من غزة، تتضمّن عرض بَازيت بالتفصيل، وتأكيد الإخوة هناك أنّ تجربتهم مع هذه المرأة وشقيقها كانت مثمرة دائماً، ومعلوماتهما دقيقة تماماً.

وجم جميع الحاضرين بذهول، فيما تابع الحاج ساجد بوقاره المعتاد وهو ينقل بصره بين أعضاء فريقه: - هذه كل المعلومات التي وصلتنا من إخواننا في غزة. وكما ترون، كل الاحتمالات واردة. فمن الممكن أن تكون كل المعلومات صحيحة، أو كلّها مفبركة، أو بين هذا وذاك.

■■■

الحاج ساجد مسؤول بارز في أمن المقاومة. مشرق الوجه، هادئ، وقور، حاد الذكاء، ذو ملامح وادعة، وبنية ضعيفة. لا ينفعل أبداً، يفكر كثيراً قبل التكلم، فإذا تكلم بتكلم بتأنّ. نظراته عميقة، حاذقة، غامضة، وصوته ذو رنّة مميزة توحي أنه لشاب عشريني، مع أنه بلغ الخمسين قبل تسع سنين. مشهور بأنه على النقيض من الآخرين الذين ينهمكون بالبحث والتفتيش عن شواهد إثبات تؤكد أفكارهم، فهو مغرم بالبحث عن الشواهد المعاكسة لأي فكرة تخطر في باله، أو يقترحها أحد عليه، ويدعو الآخرين أن يبذلوا طاقاتهم كلها لنقضها، فإن وجد في نهاية المطاف أنّ الشواهد المعاكسة صحيحة يتراجع عن فكرته فوراً، وإن وجدها ملتبسة يزيل غموضها، ويعتمدها، ويبني عليها قراراته.

منذ بداياته، شهد له رفاق دربه بقوة الإرادة والحزم في القيادة، وأنه في العمل لا يكل ولا يتعب، وأنه يجمع بين القوام العسكري الفارع وعدم التسامح والتساهل مع نفسه أو مع رفاقه، وبين الطيبة ودماثة الخلق وصفاء الروح.

ظهرت أول ملامح عبقريته الحربية إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982. يومها، سمع بخبر اندفاع الجيش الإسرائيلي نحو تخوم بيروت، فذهب مع ثلة من أصدقائه للقائهم. خمّن أن العدو سيفتش بدقة وحذر البنايات الأولى، وحين يجدها فارغة سيفقد حذره، ويتقدم من دون تفتيش نحو باقي البنايات، لذا ترك العمارات الخمس الأولى في أول الشارع، وتمركز مع رفاقه في العمارات التي بعدها. بعد بضع ساعات، اتضح أن تخمينه كان صائباً، واستطاع مع مجموعته ضرب دبابة وناقلة جند إسرائيلية. في اليوم التالي، فتحت استخبارات الجيش الإسرائيلي ملفاً باسم محمود عبد الجبار، وهو الاسم الحقيقي للحاج ساجد، بتهمة مقاومة إسرائيل، فيما راح ساجد يتنقّل من محور إلى آخر. من خلدة إلى كلية العلوم جنوب شرق بيروت، إلى الكوكودي غرب الضاحية الجنوبية لبيروت، إلى شاتيلا... ثم ما لبث أن ألّف مجموعات للمقاومة في بيروت والبقاع الغربي والجنوب، بدأت بشنّ سلسلة عمليات على دوريات للعدو، ونَصْبِ الكمائن وقنص الجنود وقصف التجمعات بالصواريخ. الأمر الذي جعله أحد أكبر مطلوبي الاستخبارات الإسرائيلية، وخصوصاً بعد اتهامه بالضلوع في تفجير ثلاثة مواقع إسرائيلية في جنوب لبنان، واغتيال عدد كبير من قادة الجيش الإسرائيلي، وجيش لحد، لكنّ كل جهودهم في القبض عليه ذهبت أدراج الرياح. وبعد التحرير عام 2000، انغمس الحاج ساجد في العمل الأمني وفكك عشرات شبكات التجسس لعملاء العدو الإسرائيلي في الداخل اللبناني. والأهم من هذا كله أنه زرع عدداً من المتعاونين مع المقاومة، في فلسطين المحتلة، لم يستطع العدو مطلقاً كشفهم، أو حتى تحديد عددهم.

■■■

صمت الجميع برهة قبل أن يعلّق زين، وهو أصغر أعضاء الفريق عمراً، وأعظمهم جثة، بأنه يشعر كأنّ رواية بَازيت من نسج الخيال؛ إذ رغم تاريخ إسرائيل الحافل بمئات المجازر، فإن الوضع الآن قد تغيّر، ومن المستحيل أن تجرؤ على تنفيذ هجوم كهذا.

ردّ عليه حسان وهو يرشف رشفة قهوة:

— هذا رأيي أيضاً. لولا أنها قالت بأن «داعش» هو من سينفّذ الهجوم. نقل زين بصره نحو رئيسه وسأله عن رأيه، فأوضح ساجد أنّ هناك نقطتين لمصلحة بَازيت: الأولى أنها فعلاً شقيقة ضابط كبير في الموساد قادر على الوصول إلى معلومات العمل الأمني وفكك عشرات شبكات التجسس لعملاء العدو الإسرائيلي أكدوا بحزم أنها طوال مدة تعاملها معهم لم تعطهم معلومة كاذبة. في المقابل، هناك نقطة جوهرية ضدها، هي أنهم لا يملكون أدنى دليل على صدق كلامها، فقد يكون شقيقها المقدم حاييم صادقاً مع الفلسطينيين، وفي الوقت ذاته أحبّ أن يلعب معنا لعبة كبيرة حتى يثبت جدارته أمام رؤسائه.

برقت عينا حسان العسليتان ببريق غريب، وأوضح أنه مَيّال إلى التشكيك في رواية المرأة، فابتسم الجميع من دون استثناء. كانوا يعرفون رأيه قبل أن يدلي به، فهو دائم الريبة في كلّ شيء. وللحقيقة فإن شكّه وحذره المبالغ بهما قد أنقذا عمليتين من قبل، وكشفا للمقاومة عميلاً داهية كان الجميع يظنونه نبراساً للتقى والصلاح.

سادت برهة من المزاح اللطيف اشترك به الجميع إلا الحاج ساجد الذي أعادهم سريعاً إلى قضيتهم الرئيسة.

هزّ خضر رأسه مستبعداً احتمال كون الأمر خدعة، مسوغاً رأيه بأنه كان في مقدور حاييم بَغْتَ الرسالة مع أحد آخر غير ظافر، وأنه من المستحيل أن يغامر بكشف الشخص الذي يسرّب عبره معلومات إلى الفلسطينيين.

ردّ ساجد بعد تفكير عميق:

— نظرياً كلامك صحيح، لكن ثمة احتمال أن يكون قد فكر بطريقة مختلفة. إذا انكشفت علاقة شقيقته بظافر في يوم من الأيام؛ حينها يدّعي أنه كان يستخدمه لاختراقنا. اقتنع الجميع بكلامه، وتساءل زين بحيرة عما ينبغي فعله. وضع الحاج ساجد يديه على ركبتيه كأنه يتأهب للنهوض وغاص في أفكاره وهو يتمتم:

— قبل أي شيء، ينبغي أن ندرس ونحلل معلومات بَازيت، ونقاطعها مع المعلومات التي تأتينا من مصادرنا الأخرى. وأثناء ذلك، سنجري اختباراً محكماً لها ولشقيقها ونعرف الحقيقة.

■■■

في ضحى اليوم الثالث، استلقتْ بَازيت عند حافة أحد المسابح في «هاواي غراند»، رنّ هاتفها الجوال، قرأت اسم ظافر، أجابته عبر اللاقطة المثبتة في أذنها:

— تأخرت كثيراً في النوم يا عزيزي، لقد سبقتك إلى المسبح.

رشف ظافر رشفة من كأس العصير، وهو يجلس باسترخاء على كرسي وثير قرب نافذة غرفته المطلة على المسبح، وقال:

— وافق الأصدقاء على شراء المنزل، يريدون مقابلتك لمعاينته.

— أنا جاهزة للقاء، والمنزل على أفضل ما يرام.

أغلق ظافر الهاتف، وتوجّه نحو الباب بعدما سمع صوت طرقتين خفيفتين عليه. كان القادم شابّ في العقد الثالث من العمر، مربوع القامة، قوي البنية، أصهب الشعر، في وجهه بعض النمش. تمتم الزائر محيياً بصوت خفيض:

— سلامات قدسية.

افترّ وجه ظافر عن ابتسامة ارتياح، فهذه هي كلمة السر للتعارف، وأشار لضيفه بالدخول مدمدماً:

— القدس بوصلتنا كلنا.

دخل الضيف، فيما أغلق ظافر الباب بسرعة، وأشار بضرورة البدء فوراً؛ إذ من الخطأ والخطر أن يطول لقاؤهما. هزّ مهدي رأسه موافقاً، فيما أراه ظافر صورة بَازيت، وأنباه بأن اللقاء سيكون بعد ثماني ساعات في لارنكا كما أراد مهدي وقيادته. حدّق مهدي ملياً في الصورة، ثم شرع في مناقشة التفاصيل مع مضيفه.

دام حديثهما نصف ساعة. بعدها خرج مهدي أولاً، ثم ظافر بعد خمس دقائق، باتجاه إحدى حدائق الفندق، تمشى صوب بَازيت التي لوحت له بمنديل حريري أزرق. حثّ الخطى نحوها مسرعاً، ولما أصبح قبالتها تساءلت بقلق إن كان كل شيء على ما يرام، فطمأنها تماماً، وبيّن لها أنّ التأخير الحاصل سببه حرص المشتري على بعض الإجراءات قبل الدفع.

هدأت أسارير بَازيت وتساءلت:

— متى اللقاء؟

— سنفترق الآن لنلتقي على وجبة غداء في مطعم، على الأقل لنعوّض عشاء الأمس السريع. وبعدها سنذهب إلى لارنكا حيث يكون المشتري بانتظارنا هناك.

■■■

بعد وصوله إلى لارنكا، توجّه مهدي وقد غيّر شكله بنظارات شمسية، وتسريحة القنفذ، ومثبّت لامع لشعره المصبوغ حديثاً باللون الأسود الداكن، وطقم جينز كحلي، إلى حديقة ميليوس التي تُعتبر واحدة من أجمل حدائق الحيوان في أوروبا. تظاهر طوال الوقت بأنه مستمتع حدّ الثمالة في مشاهدة الحيوانات والطيور الجميلة التي تم جلبها من جميع أنحاء العالم قبل أربعين عاماً، التقط صورة لنفسه قرب طائر أبو سعن الإفريقي، وأخرى قرب وشق أوراسي، وثالثة مع كنغر أسترالي... لكنه في الحقيقة لم ير شيئاً مما رآه، ولم يميّز الدبّ الروسي عن سلحفاة غالاباغوس؛ لأن اهتمامه الحقيقي كان مركّزاً على كشف أي شخص يتعقّبه أو يراقبه.

بعد ساعة ونصف الساعة، خرج من حديقة ميليوس وتوجّه إلى مسجد هالة سلطانة. تجوّل في أرجائه وكأنه سائح مفتون. التقط لنفسه صوراً كثيرة، وحرص أن تظهر في الصور وجوه كل من كان في المسجد. ثم انتحى ركناً قصياً منه، وهناك جلس وبدأ يتأمل الصور التي التقطها بحثاً عن أي شخص مشترك بين صور الحديقة وصور المسجد، ولما لم يجد أي تطابق تنفس الصعداء، وخرج متوجهاً نحو مطعم «ليفكار» القريب.

بدت المساحة واسعة بين منضدة وأخرى في المطعم الهادئ، ذي الإنارة الخافتة، والموسيقى الناعمة. جابت الفتيات بقمصانهن البيض، وتنوراتهن البنفسجيات القصيرات بين الزبائن لتقديم الخدمات لهم، أما مهدي فقد جلس على منضدة منفردة في ركن منعزل، يتناول وجبة سمك التونا بتأنٍ، وهو يراقب رفيقيه المنسجمين في دور تمثيلي لتاجرين سوريين، وما إن أكمل وجبته حتى طلب الفاتورة ليسبقهما إلى سيساك بيتش، بعدما أرسل رسالة إلى هاتف ظافر.

وقف مهدي عند كشك لبيع المرطبات وطلب زجاجة كولا. ناوله صاحب الكشك عبوة باردة، شرب منها وهو يتلفت يميناً ويساراً، بانتظار ظهور ظافر وبَازيت. نظر إلى ساعة يده بترقب، ثم ذهب يتمشى بهدوء صوب شاطئ سيساك، ينتظر قدومهما.

مرت الدقائق بوطأة ثقيلة، اتصل بظافر عدة مرات فلم يرد عليه، أدرك أن مكوثه هنا بلا فائدة، فعاد إلى الفندق، وجلس في صالة الاستقبال يترقب إشارة أو رسالة أو مكالمة. طال انتظاره، واتصل مرتين من دون أي ردّ من ظافر.

■■■

في تلك اللحظات العصيبة، كان يجري في أحد أقبية إدارة الموساد في تل أبيب تحقيق صارم مع حاييم أدموني. بدا الرجل مصدوماً مذهولاً، لا يكاد يصدق أنه وقع في الفخ وانكشف أمره أمام محققٍ نحيف، متوسّط الطول، خفيف السمرة، شعره مصبوغ بغير عناية، وعيناه صغيرتان ماكرتان تجعلان الناظر إليهما يشعر بقلق مبهم يعقبه ذعر مريع. حدجه المحقق بنظرة باردة، وغمغم بهدوء يشبه الموت وهو يحكّ شامة سوداء في أسفل ذقنه:

— ماذا تفعل شقيقتك بَازيت في قبرص؟

(*) فصل من رواية تحمل العنوان نفسه للكاتب السوري فتح الله عمر ـ حازت المرتبة الثانية في «جائزة سليماني العالميّة للأدب المقاوم» في دورتها الثانية (2022) عن فئة الرواية. تصدر قريباً عن «دار أسفار للثقافة والإعلام» في بيروت.

قصة قصيرة

مذفت الشاعر احمد شوقي وسط المدافع التاريخية التي هدمت ضمن مشروع «تجديد» القاهرة

بيكاتشو

هند جعفر *

تعلّق بيكاتشو بالحائط ذاهلاً، كان قد غفا ساعات قليلة، وصحا على جلبة أعقبها ما يراه من فوضى لا يستطيع فهمها، آلاف السيارات تتحرك أمامه ببطء شديد، ومئات العمّال يتراصّون على جانبَي طريق سيارات طويل لم يستطع الإحاطة بآخره. أما تحت قدميه فتربض عشرات اللوادر والجرافات.

بإرادة مستقلة ومنفصلة تماماً عن خالقه، كان بيكاتشو قد تحرّر من مغامراته في بلاده، واختار أن يتجشّم على حائط غرفة مراهق مصري يسكن الطبقة الثالثة والأخيرة من منزل متواضع على الطريق الدائري بالمنيب، ولحسن الحظ أو لسوئه – هذا ما لا نعرفه بعد – كان بيكاتشو محل إعجاب المراهق الذي اختار هو أيضاً أن يستاتس بالبوكيمون الأصفر؛ فما كان منه إلا أن رسمه بمهارة على الحائط المجاور لسريره، وهو الحائط الوحيد الذي نجا من الغرفة حين قررت الحكومة المصرية بإرادة حديدية ومستقلة أيضاً توسعة الطريق الدائري حسبما أخبرتنا الأخبار. وهو ما شرعت فيه بالفعل وأعطته عنواناً قد يكون مثيراً، لكنه بالتأكيد رصينٌ يترك انطباعاً جديّاً ببث الهيبة في قلوب قرائه. وقد كان «مشروع التطوير الشامل للطريق الدائري حول القاهرة الكبرى»، ولكن بعد هدم مئات المنازل والذهاب بالقاطنين للسكن في مناطق أخرى، كانت الحكومة من دون قصد قد تركت وراءها ما قد يُحصى بالآف الحوائط الملوّنة حمراء وبيضاء وخضراء وزرقاء وألوان كثيرة تكونت بفعل امتزاج الدهان والرطوبة وعوامل أخرى شكّلت ألواناً لم يُعرَف لها اسم بعد، وبدت الحوائط كاللوحات العارية تنتظر أي رسم يملأ هذه الفراغات بمعنى ما.

وفي وسط هذه الجوقة من الحوائط، ظلّ حائط بيكاتشو يُطالع المارة ليخبرهم بطريقة غير مباشرة أنه كان شاهداً على وجود قليل من المرح في هذه البقعة من العالم.

ولأنه يُوصف أحياناً بأنه بوكيمون محفوظ؛ فقد توزعت حول بيكاتشو ثلاثة مقابس كهربائية في الغرفة، من دون أن يبذل مجهوداً في السعي إليها. كان يعلم أن زاده الحقيقي وما يمدّه بالقوة يكمن في مصدر للكهرباء، لكنّ الصداقة التي نشأت بينه وبين المراهق وعائلته منعته دوماً من التفكير في الإعلان عن قواه، دار في خاطره أنّ الأمر تغيّر الآن واقتحمت المعادلة أطراف جديدة لا يبشر مرأها بأي خير؛ ولذا كان أول ما فكّر فيه: مهاجمة من حوله من الغرباء!

بملامح غاضبة وقلب أسخم من تراب القاهرة، قرّر الانتقام ممن نغّصوا عليه عيشه، لكنّ نظرة أخرى على مواقع العمل التي تتناثر أمامه جعلته يَعدل عن الفكرة بسبب بؤس ملامح العمال والشغيلة، لم يعتقد أنهم قد يمثلون خطراً عليه. كانوا خطراً على أنفسهم.

ساعات أخرى قضاها بيكاتشو في التفكير، ثم هبط من علبائه، تحسّس ذيله الذي دائماً ما استعمله في الهجوم، ولحسن الحظ أو لسوئه، وبعد سنوات من التنحية والإقصاء وجده ما زال صالحاً للاقتتال، يستطيع الآن التحرك بعقل صافٍ حكيم وجسد قوي؛ لهذا جرى سريعاً واختفى وسط عشرات البيوت.

* الإسكندرية/ مصر

تراث

باسمة القصّاب «تنادم» أبو حيان التوحيدي

أحمد السعيد*

وَفدَ فيلسوفٌ مدينةً بها فيلسوف، فقدّم فيلسوفُ المدينة إلى الفيلسوف القادم كأسًا ملأى بالماء، دلالةً على أنّ حكمته وعلمه يكفيان هذه المدينة، وليست بحاجةٍ إلى هذا الوافد الجديد، فما كان من الآخر إلا أن وضع في الكأس إبرةً ليخبره بأن كل كأس مهما كانت ممتلئة، بحاجةٍ إلى إبرة الحكمة التي تبدّد فيضان غروره، فتعطيه ظلاً ينفذ في ظِل، وسعةً مُضافةً إلى سِعة.

إن إبرة الحكمة أو كما تسمّيها باسمة القصّاب «إبرة اللّحظ» هي ما قامت باختزاله في النص المُهدى على نسختي الخاصة من كتابها الجديد («إبرة أبو حيّان» ـ مؤسسة الانتشار العربي) فكتبت إليّ يومها: «وحدها إبرة الحكمة تُبدّد وهم امتلاء كؤوسنا»، أي إنّ الحكمة تبدأ من الحيثية التي يدرك فيها الإنسان جهله، فيتخلى عن صفاته المذمومة من الكبر والغرور، ليتحلّى بالصفات الحميدة التي يتطلبها التواضع الفكري القادر على استقبال المعرفة ودهشة العالم من جديد.

من هذه الحكاية التي يحكيها الفيلسوف المسلم أبو حيان التوحيدي (310 - 414 هـ)، تستلهم الكاتبة البحرينية عنوان كتابها «إبرة أبو حيّان». تقرأ فيه نصوصاً من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» مجاز الظل للتوحيدي كثيراً في التعبير عن أمور متعددة، حيث يقول: «الإضافة ظِل، والشخص بالظل يأتلف وبالظل يختلف». إننا لا نكتب إلا لكي نضيف شيئاً، وأن نتفرّد في الكتابة يعني أن نمدّ ظلالنا فيها، فما الذي يستفيد منه الآخرون من كتابة تستنسخ ظلال الآخرين، وتختتم مقالها بـ: «قال فلان، وعزّف فلان، وحسب رأي فلان». فعلى الإنسان حين يكتب أن يضيف ظله -تجربته- إلى ظلال الآخرين، لأنه لا يُبدع إلا بالتضايف.

إذن، الطبيعة عند التوحيدي هي مجموع إضافات ومتضادات حائرة، لا تخضع لمعيار واحد ولا شكل واحد ولا نموذج واحد، ولا جمال واحد. هكذا جاء كتاب باسمة متسّقاً مع فلسفة التوحيدي، فيُدخلك في الصداقة من حيث يدخلك في الكتاب، ويدخلك في الطبيعة من حيث يدخلك في الإنسان: «الإنسان هو الشيء المنظوم بتدبير الطبيعة»، «الطبيعة أم والإنسان ابنها». ويدخلك في الكتابة من حيث يدخلك في الله: «فكما أن الله يؤلف بالخَلق كذلك الإنسان يؤلف بالكتابة» (ص35). ذكرتني هذه المقولة التي تذكرها باسمة عن التوحيدي بحديث مأثور مضمونه أن الله كان كنزاً مخفياً، فأحبّ أن يُعرف فخلق الخلق، فبه يعرفونه. هكذا كانت دواعي الخلق الإلهي للممكنات، وهي ذاتها الدواعي التي تدعو الإنسان لأن يكتب، أن يُخرج أفكاره من الذهن للوجود محبة في أن يُعرَف، ومحبة في الناس أن يعرفوا ما عرف. فهو يُؤلف بالكتابة عوالمَ -عوالمه الخاصّة- كما يؤلف الله بالخلق عوالم وأبداناً. إن الفلسفة هي حب الحكمة كما يقولون، «وتُعرف على أنها التشبّه بالإله على قدر الطاقة» (ص139).

إذا ما اتفق التوحيدي مع الوزير أبي عبدالله وحاول أن يبين أو يشرح له تساؤلاً ما، فإنه كثيراً ما يستخدم الحكاية دونَ عن أساليب المنطق والفلسفة لأنّ «لا حقيقة أنصع من الواقع» (ص71). وحكايات التوحيدي هنا عبارة عن سرد لوقائع، أو أمور حدثت يعجز العقل عن الاستدلال والبرهنة عليها بأساليب المنطق والتفلسف، فيلجأ فيلسوفنا للحكاية، كإجابته مثلاً عن تساؤل الوزير عن حدوث الاتفاق، الذي نسميه اليوم «الصُّدفة»، أي حدوث شيئَين في وقت واحد من دون قصد أو ترتيب. كأن تتحدث عن اشتياقك لأحدهم فتجده يطرق باب منزلك، أو أن يجيء طفلٌ إلى الحياة في اليوم الذي يرحل والده. يجيب التوحيدي عن الحكاية بالحكاية، فلا يسرد حكايات من خياله، بل أشياء حدثت في الواقع، فالحكاية، وإن كانت واقعية، إلا أنها لا تستبدل الدهشة بالمنطق، إنما تجيب على دهشة السؤال بدهشة سرد الوقائع العجائبية والغرائبيّة. أما حين يختلف مع الوزير، فإنه يمهّد بذكاء أرض عقله بالكلام اللّين، ثم يجيء له بالجملة الخشناء، كما حدث عند امتعاض الوزير من تنقير العامة وإزعاجهم للخاصّة والتدخل في شؤون الحكم مُضمراً التوعد بعقابهم، يقول أبي عبدالله العارض: «إني لأهمّ في الوقت بقطع السنة وأيد وأرجل وتنكيل شديد، لعل ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة» (ص87)، فيجيبه التوحيدي أوّلاً بالرفع من شأنه كسائس للناس عامّتهم وخاصّتهم وضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم، وأنّ من يعطيه الله هذه المكانة حرياً أن يكون عقله فوق عقلهم، وحلمه أفضل من حلمهم فلا ينزعج منهم.

هكذا منطلقاً من التصنيف السائد للعامة والخاصة، يبدأ التوحيدي خطابه للوزير، ثم يجيء بـ «الجملة الخشناء»، بمفهومه الخاص الذي يميّز العامة عن الخاصّة ليس بالطبقة التي ينتمي إليها المرء من ثقافة أو رئاسة سياسية، بل هو يقول في أهل الأسواق الذين هم العامة أو «السّوقة»: «إننا لا نعدم منهم خُلقاً دقيقاً، وديناً رقيقاً، وحرصاً مسرفاً، وأدباً مختلفاً، ودناءة معلومة، ومروءة معدومة» (ص106). هكذا يقلب التوحيدي مفاهيم الوزير والمنظور السائد آنذاك عن معيار الخاصّة والعامة بأنه معيار خُلق وأدب ومروءة؛ فكما يوجد نقص وزيادة في معاييره هذه عند أهل الحكم والعلم والثقافة، يوجد أيضاً ذات النقص والزيادة عند العامّة والسّوقة؛ فما الضّير في أن يتدخل هؤلاء ويتساءلوا ويعترضوا على شؤون الحكم ما دامت تمسّ هذه الشؤون أمور دنياهم التي يسيرون فيها وأقواتهم التي يسعون إليها؟!

هكذا قدمت باسمة كتاب التوحيدي من حيث هو كثرة يتضمنها واحد. ذاتٌ لكنّها متعددة، أشبه بالكون في ذهن إله. صحيح أنّ الكتاب متشعّب إلى مواضيع متعددة عن الصداقة، والكتابة والطبيعة، عن الله والإنسان، والرعية والراعي، والخاصة والعامة، وشؤم الكلام الذي يؤسّس له علماء الكلام في جعلهم طريقاً واحداً للحق وطرقاً متعددة للضّلال، وكلامهم الذي هو ككأس ممتلئة لا تستقبل إلا ما بها من ماء، مقابل مفاتيح الحكمة وإبرة الفلاسفة التي يفتح بها التوحيدي مغاليق الوزير أبي عبدالله العارض في سبع وثلاثين ليلة، إلا أنه رغم هذا الاختلاف في الكتاب وتعدد مواضيعه، فهو متسقٌ ومتوحد في ذات واحدة هي ذات وعقل فيلسوفنا أبي حيان التوحيدي وكتابه «الإمتاع والمؤانسة».

«إبرة أبو حيان» أو «إبرة الحكمة» كما قدّمتها لنا باسمة القصّاب كانت بمثابة رحلة في كأس لا تمتلئ، وطبيعة لا تُسبر أغوارها، لأن الإبرة هنا ليست إبرة إجابات تغلق، إنما إبرة مغاليق تُفتح، وأبواب تتيح لك الولوج إلى دهشة العالم المتعدد. إنها الإبرة التي تُبدد وهم امتلاء كؤوسنا.

* كاتب من البحرين

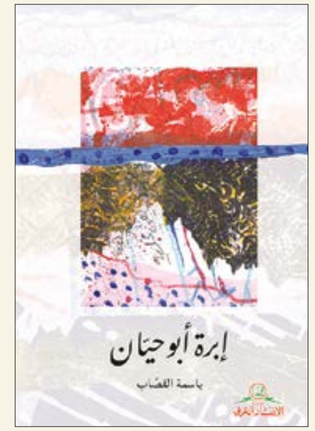

الكتاب متشعّب إلى مواضيع متعددة من الصداقة إلى الله والإنسان

لمحات

هلغى باومغرتن

في «لا سلام لفلسطين: الحرب الطويلة ضدّ غزة» (2021) الذي انتقل إلى العربية (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ـ ترجمة محمد أبو زيد) تُقدّم الألمانية هلغى باومغرتن دراسةً تاريخيةً للواقع الفلسطيني، من منظور مؤلفة ألمانية شهدت على الحروب التي شنّها الاحتلال الصهيوني ضد غزة، وترفض النظرة المنحازة السائدة في الإعلام الألماني. تدور الفصول حول استعراض تاريخي لمسيرة الفلسطينيّين نحو التحرّر، بدءاً من التظاهرات وتصرّفات قوات الأمن الإسرائيلية الوحشية تجاهها، إلى عمليات هدم بيوت المقاومين، أو سيطرة المتطرّفين اليهود عليها. رغم توجّه الكتاب إلى القرّاء الناطقين بالألمانية، إلّا أنّه يتيح للقارئ العربي الانغماس في رحلة تاريخية تمتدّ من النكبة وصولاً إلى الحرب الإبادية الأخيرة على غزة.

رشيد الضعيف

بعد مشروعه الخاصّ الذي استكشف فيه المُحرمات، يخوض الكاتب اللبناني رشيد الضعيف تجربة جديدة في روايته «ما رأت زينة وما لم ترَ» (دار الساقي). تتناول الرواية لحظات ما قبل انفجار مرفأ بيروت عام 2020 وبعده، والأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعصف بلبنان، والضغوطات التي يعيشها الناس بعد الارتفاع الجنوني للدولار. يُقدّم الكاتب رواية على نحو أقرب إلى سيناريو أو سكريبت، حيث تتناوب المشاهد سريعاً، ما يمنح القارئ إحساساً بالحدث المتسارع. فصول قصيرة ومحدودة إلى حدٍّ بعيد، تحيل الرواية إلى ما يشبه عمل «تقطيع المشاهد» في التصوير السينمائي. يُظهر الكاتب ذاته ووجدانه في بعض اللحظات، خصوصاً حين يعكس عبء الظروف الاقتصادية على الشعب اللبناني.

إيمان اليوسف

تتقاطع مجموعة عجائبية من الشخصيات في رواية «عام واحد من العزلة» (دار الآداب) لإيمان اليوسف، في وقت تغيب فيه الخطوط الفاصلة في ثلاثية الواقع والخيال والتاريخ. تستوحي الكاتبة الإماراتية رواياتها من جملة أحداث ووقائع حقيقية، تعيد كتابتها بحنكة سردية مع إضفاء كثير من العناصر الخيالية. تستعين بشخصية روائية شهيرة لتبني أحداث رواياتها وهي «الكولونيل أوريليانو بوينديا» بطل رائعة ماركيز «مئة عام من العزلة». تصوّر فضاءات الرواية آلام الفقد والجوع والمعاناة، وتسافر بنا إلى مطارح وزوايا شعرية نعيش ونختبر في خضمها كثيراً من المشاعر المتناقضة، لتفتح نوافذ التساؤلات وتحفّزنا على قراءة ما يكمن خلف التفاصيل.

عبد الرحمن عاطف

تنتمي رواية «فضاء البنفسج» (دار العين/ القاهرة) للكاتب والباحث المصري عبد الرحمن عاطف إلى أدب الديستوبيا الذي يتميّز بصورة متشائمة للمستقبل، إذ تظهر مجتمعات تتّسم بالقمع، وفقدان الحريات، وتدهور الظروف البيئية، ويُركّز على العيوب والمشكلات التي يمكن أن تنشأ نتيجة التطوّر في مجال التكنولوجيا أو سيطرة الحكم الديكتاتوري. تدور أحداث الرواية في أرض الواقع المستقبلية والفضاءَين الرقمي والخارجي، إذ يُقسّم المجتمع جينياً لتحقيق العدالة. يُحاول أبطال الرواية الخروج عن القوالب الاجتماعية النمطية والتكيّف في عالم غير مألوف، لا مجال فيه للتعاطف غير العقلاني، وسط شيوع أحلال الآلات محلّ البشر، وطرح إمكانية الرقمنة لوعي الإنسان.

لينا مرواني

تحكي الكاتبة التشيلية الفلسطينية لينا مرواني في «أن تعودي فلسطين» (2021) الصادر بترجمته العربية عن «دار الكتب خان» (ترجمة شادي روحانا) عن رحلتها الشخصية والإنسانية إلى فلسطين. تتناول تجربتها الشخصية والعائلية، مبتدئةً من هجرة أجدادها من فلسطين إلى تشيلي في عهد الحكم العثماني سنة 1915، ثم رحلة بحثها عن الحقيقة حول القضية الفلسطينية. يطرح الكتاب عدداً من الأسئلة عن الأصل، والهوية، والوطن، والحدود، واللغة، والحرب، والسلام. ويتخلّله عددٌ من المواقف والصور الحيويّة. كما يقدّم نظرة على حياة مرواني في نيويورك وتشيلي، كابنة لأحد المهاجرين الأوائل.

دراسة

رولا حسن تقتفي الشعر السوري الجديد

فاطما خضر

بعد حرب تركت ما تركته في النَّفْس من فقْدٍ ومشاهدَ عُنفٍ ومشاعرَ خوفٍ، برزت موجةٌ شعريّةٌ جديدةٌ من بين شقوق الذّاكرة المُتعبة. امتازت هذه الموجة بحساسيتها العالية وسط مجتمعات لا ترغب ولا يُراد لها أن ترى سوى التكرار المقيت ذاته، ولا أن تحمل سوى مفردات الهوية القلقة ذاتها. خُلقت هذه الموجة بفعل قصائد شاعرات على امتداد الجغرافية السورية، رابرنَ في الشعر وطناً آمناً، سماؤه الخيال حيث يستطعن التّحليق من دون قيد، وترابه الكلمة التي تمتد جذورها لتنمو وتكبر وتغدو قصيدةً.

الشّاعرة والناقدة السورية رولا حسن تابعت هذه الموجة على مدار سنوات الحرب السوريّة. منذ عام 2016، عملت على توثيق حركتها لتكون النتيجة كتابها «الموجة الجديدة في الشعر السّوري: نصّ طازج وحساسية مختلفة.. شاعرات سوريات» (دار كنعان ـ دمشق). في مقدّمته، تنطلق من سؤال طرحه أدونيس في أحد الأيام: «ماذا يفعل الشّعر في مدن تزدهي بجديها؟»، لتؤكّد حسن على أنّ تساؤل أدونيس اليوم، بات أكثر إلحاحاً وسط مدن تعج بالخراب والموت، وأخذت أسئلة أخرى تُراحمه: «ماذا للشّعر أن يفعل في عالم غاب عنه اليقين؟ في زمنٍ سقطت فيه كلّ الأقنعة، وتساقطت كلّ المطلقات، مع تساقط الإمبراطوريات. في عالم يشهد أعلى درجات التّقدّم العلمي، وأعلى موجات الديموقراطية، لكنّه في المقابل يُنتج أعنف أشكال التّعصب، والإلغاء الاعتقادي، العرقي، وأبشع أنواع التكفير، ويتفنّن في أساليب الموت والتصفية، ويُنتج أكثر أشكال الهيمنة حداثة. ماذا يفعل الشّاعر؟». تنطلق حسن من هذه التّساؤلات لترصد تجربة شاعر الموجة الجديدة، الذي تراه أنّه يؤمن بالسؤال أكثر من الجواب، يؤمن بالشك، والبحث الذي ينتج منه السّؤال بوصفه سرّ الإبداع المتجدّد، فيمزج التفاؤل بالاستفهام، والإيقاع بالإبقاع.

تنتقل رولا حسن بعد ذلك للتحدّث عن دور الفعاليات الثقافية والأدبية الخاصّة التي ظهرت بعد الحرب، واكتظّت بها مقاهي دمشق القديمة، في رسم ملامح الحركة الشعرية السّوريّة الجديدة، التي تأخّرت عن نظيراتها العربيّة، إذ لم يكن الاعتراف بالشّاعر في سوريا قبل الحرب إلّا عبر المنابر الحكومية، ووزارة الثّقافة، عبر منشورات ورقية وصفحات ثقافية في الجرائد اليوميّة، معروفة بمجملها بآلية عملها البائسة، التي لم تعمل إلّا على تكريس المكرّس، وتكرار المُكرّر. كانت هذه الفعاليات والتّجمعات الثّقافية، على قلّتها، وضعف إمكاناتها الماديّة، لتحتفي بالشّعراء الجُدد، ولتكون شاهداً على أنّ الشّعر مثّل الظاهرة الأبرز في المشهد الثقافي السوريّ بعد الحرب. وضاعفت من بروز ملامح هذه الظاهرة صفحات التواصل الاجتماعي، التي ازدحمت بالنصوص الجديدة، ووجدت عبرها منبراً حُرّاً، وجمهوراً خاصّاً، وافرت مساحةً للقارئ ليتفاعل مع النص، وبالتالي ليكون شريكاً عبر ما يكتبه من تعليقٍ على النص، سواء سلباً أم إيجاباً. تُشير حسن بعد ذلك في صفحةٍ كاملةٍ من كتابها، إلى موقع الأيقونات السوريّة الممثّل بالشّاعر والفنان أحمد إسكندر سليمان الذي واكب شاعرات هذه الموجة عبر نشر قصائدهنّ على موقعه الإلكتروني. كان في كثير من الأحيان الشعري، وأرى أنّها الأكثر ألقاً في المشهد السّوري اليوم. كانت الصفحة وما زالت مفتوحة على التجارب الجديدة، من دون الالتفات إلى نكران بعض أصحاب التجارب غالباً بنزعات جهوريّة، تُنتجها الحروب الأهلية دوماً، وترى فيها نزوعاً شعريّاً لا نراه، والكلام يعود إليه».

بعد مقدمتها الوافية لتصوير كيفية ولادة هذه الموجة، تنتقل رولا حسن إلى استعراض تجربة ست وعشرين شاعرةً، ينتمين إلى أجيال مختلفة ابتداءً من أواخر السّتينيات حتّى منتصف التسعينيات، ومن مدن سوريّة مختلفة، جاءت أسماؤهنّ على التوالي كما وردت في الكتاب: أريج حسن، بشرى البشوات، بسمة شيخو، خلود شرف، آفين حمو، ديمة حسون، رامة وهبة، رشا حبال، رماح بوبو، صبا قاسم، عبير سليمان، عبير نصر، ليزا خضر، منار شلهوب، مناهل السهوي، ميس الريم قرفول، راما عرفات، شروق حمود، نورا علي، شذا خليل، نصيرة عيسى، نور نصرة، مريم الأحمد، فاطما خضر، سوسن الغزالي ونسرين الخوري.

القاسم المشترك بينهنّ هو قصيدة النّثر التي رأينَ فيها وطناً جديداً، فلا الوطن ظلّ وطناً، ولا بلاد اللجوء استطاعت أن تكون وطناً. تُقدّم حسن أسماء الشاعرات على التّوالي، تُرافق كلّ اسم دراسةً منفصلةً تحكي فيها عن تجربة الشّاعرة، إذ تنفرد كلّ شاعرة. وفقاً لحسن. برؤيةٍ خاصّةٍ في بناء قصيدتها، وبلغةٍ خاصّةٍ تميّزها، وبحساسيةٍ منفردةٍ في التقاط الجمال وسط عالم يضجّ بالقباحة؛ ثمّ تقدّم المؤلفة قصيدةً طويلةً أو ثلاث قصائد قصيرةٍ لهذه الشّاعرة.

تعجُّ معظم القصائد بمفردات الحرب، وتتميّز على اختلافها باعتماد السرد لبناء قصيدةٍ تُهيمن عليها ذات الشاعرة المُنكسرة والحزينة، التي ترى عبرها العالم، وتصفه، وتحكي عن علاقتها الهزيلة به، بعدما غرقَ في التعصب والتطرف والطائفية والإقصاء والقتل والأمراض في زمنٍ شهد أعلى درجات التقدّم العلمي، واحدّث موجات الديموقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان وحتى الحيوان.

تجارب نسائية تمتدّ من أواخر الستينيات حتى منتصف التسعينيات

سياسة

فرنسا في عهد ماكرون: خطابات لامعة ونتائج مائعة

منى سكرية

تحت عنوان «فرنسا قوّة عظمى خذَلها العصر» (ترجمة نصير مروة) أصدرت «مؤسسة الفكر العربي» في بيروت كتاباً أشرف على إعداده الفرنسيّان الأكاديمي برتران بادي والمؤرخ دومينيك فيدال. شارك ثلاثة وثلاثون باحثاً وأكاديمياً وسياسياً ومؤرخاً فرنسيون في مقالات تناولت تقييم «السياسة الخارجية الفرنسية» التي «لم تحظ إلّا بالقليل من الدراسة، ويُنظر إليها عبر أفكار مسبقة لم تخضع للتقييم: مثل فكرة العظمة الديغولية، وظيفة الترسانة النووية في زمن ما بعد القطبية المُلغز، أو مواقع نفوذ وبسياديّة بلاغية أرهقتها العولمة ونالت منها».

تتميّز المقالات/ الدراسات الواردة بالتنوّع تبعاً لاختصاص كتّابها، ما أثرى المعلومات، وطرق المعالجة لهذه السياسة الخارجية التي يؤديها «جهاز ديبلوماسي مرموق ونادر الصيت، ولكن لَمْ تُحسن الإفادة منه» (ص21). يبلغ عدد موظفي هذا الجهاز 12105، أقرّت له موازنة في عام 2020 أكثر من خمسة مليارات يورو مع إضافات، أي في عهد الرئيس ماكرون الذي «جرى تلقّيه بترحاب من الجسم الديبلوماسي، إذ وقّع سنّون سفيراً نداءً انتخابيّاً لمصلحته، سرعان ما خَبَت الآمال في هذا المجال» (ص155).

تحت عنوان «ديبلوماسية إيمانويل ماكرون: سلطان بلا حسيب ولا رقيب»، وصف رينيه باكمان المتخصص في السياسة الدولية «إستراتيجية ماكرون الديبلوماسية» بأنها الأقرب إلى أن تكون الخاصيّة التي يختصّ بها، وليس امتلاك الرؤية الإستراتيجية، عازياً الأمر إلى «عثرات منهجه وإفراطات تواصله أو رعوناتها، ثمّ بخاصّة، تركيز اتخاذ المبادرات والقرارات الديبلوماسية في القصر الرئاسي». وهنا ننصح أيضاً بقراءة كتاب «إيمانويل ماكرون من الظل إلى الرئاسة» (دار الساقي) للكاتبة أن فولدا التي تتوقّف عند شخصية ماكرون بمراحلها كلها ونرجسيته، وتشبيه حاخام فرنسا الأكبر حاييم كورسيا للشاب ماكرون بنابوليون بونابارت، والمساندين والداعمين لوصوله من رجال الأعمال والمصارف وأبرزهم روتشيلد.

إلامَ أدّت تلك السياسة الماكرونية خارجياً؟ هنا يشير باكمان، كما في عدد من مقالات الكتاب، إلى فشل سياساته في لبنان «مُتّخذاً وضعية المنقذ لبلد يسير على غير هدى» (ربما الاستفادة التي نلناها من زيارته كمواطنين كانت صورة السيدة فيروز)، وفي الملف النووي الإيراني عندما طالب بتوسيع الاتفاق «ليشمل مسائل الصواريخ المسيّرة (الباليستية) ودور إيران في سوريا ولبنان، وهي مسائل لا يريد القادة الإيرانيون أن تُلامس أسماعهم»، أو منهجه في الساحل الأفريقي، أو في ليبيا. ويبقى موقفه من «الصراع الإسرائيلي -الفلسطيني» بالانحياز لجانب إسرائيل عندما أيّد صفقة القرن «التي تصفّي الحقوق الوطنية الفلسطينية». وهو ما يصفه الصحافي المؤرخ دومينيك فيدال في مقالته بعنوان «فرنسا/ إسرائيل: قانون التارجح» بأنّ «إيمانويل ماكرون أكثر اهتماماً بالصهيونية منه بالشرق الأوسط» (ص295).

تقف اليوم عند منعطف مماثل لما شهدته بعد أزمة السويس عام 1956

بأنها واحدةٌ من القوى العظمى، غير أنّ الأمور بدأت تشتبه وتلتبس اعتباراً من هزيمة عام 1940 لأنها لم تكن هزيمة كسائر الهزائم، لأنها أفضت حينها إلى الخضوع التام للمُحتل وإلى التعاون معه تعاوناً لا يتّفق مع السردية الموروثة» (ص11). وبعدّد هزائم فرنسا في الهند الصينية، وفي الجزائر، وفي مشاركتها في عدوان عام 1956 على مصر، والمنهج الفرنسي إبّان الحرب الباردة كوسيط، ولكنّ «زوال القطبية الثنائية كسَر بوصلة السياسة الفرنسية»، فابتعدت عن «المعجزة الديغولية» في سياسة ديغول الأطلسية، إذ التحق شيراك بتأييد عدوان أميركا على العراق، وفي لبنان وافق المحافظين الجدد الأميركيين في القرار 1559، وأيضاً في «إحياء فكرة الغرب والتضامن الغربي في مواجهة الإسلاموية».

يتضمّن فصل «من أين تأتّت ثقافة العلاقات الدولية الديبلوماسية» مقالات عدة منها حول «ثقافة الجبروت الفرنسية»، فيسأل المؤرخ في العلاقات الدولية روبير فرانك كيف بنى الفرنسيون ثقافة جبروتهم؟ وكيف تطورت؟ وهل ظلّت هي هي بعد عام 1945، أي عندما فقدت فرنسا منزلتها كجبّار أو كقوة عظمى؟ يجيب بأنّ السفن تجري بما لا تشتهي فرنسا، في حين يقول المؤرخ المتخصّص في التاريخ الاستعماري الآن روسيو إنّ «الروح الاستعمارية لم تَمُت». مع ذلك، يكتب موريس فايس المختصّ في السياسة الخارجية والعسكرية عن «أوراق رابحة ونقاط ضعف في عالم معولم»، وعن «طموح دبيلوماسي جامع يغطي المعمورة ووسائل محدودة». ويختمّ مقالته: «في سياق عولمة كبحها الوباء (كوفيد) ولكنه لم يوقفها، ومواجهة بين الصين والولايات المتحدة الأميركية ووسط أوروبي لا يزال يبحث عن سواء سبيله، تجد فرنسا نفسها كما بعد أزمة السويس عام 1956 على منعطف» (ص150).

أما الفصل الثاني من الكتاب، فيتناول أدوات السياسة الخارجية الفرنسية، ومن أبرزها أدوار الجيش، ومبيعات الأسلحة حيث تحتل فرنسا المرتبة الثالثة في المبيع بعد الولايات المتحدة الأميركية وروسيا، والصعود الصاعق للبيراليين الجدد من النمط الفرنسي، ودور الشركات المتعددة الجنسيات، واللوبيات والوسطاء كديبلوماسية موازية، والاستخبارات كأداة في هذه السياسة الخارجية، إضافة إلى الدور الثقافي والفرنكوفونية إلخ. يمرّ النائب الأوروبي السابق ورئيس «اليسار الوحدوي الأوروبي» فرنسيس فورتز على عهود رؤساء فرنسيين، ليصف أخيراً سياسة ماكرون بأنها «خطابات لامعة ونتائج مائعة».

أوراق

صرخة جاز من برايري نبراسكا إلى غرف الغاز

بوب كوفمان... الزنجي الأحمر الجديد

محمد مظلوم *

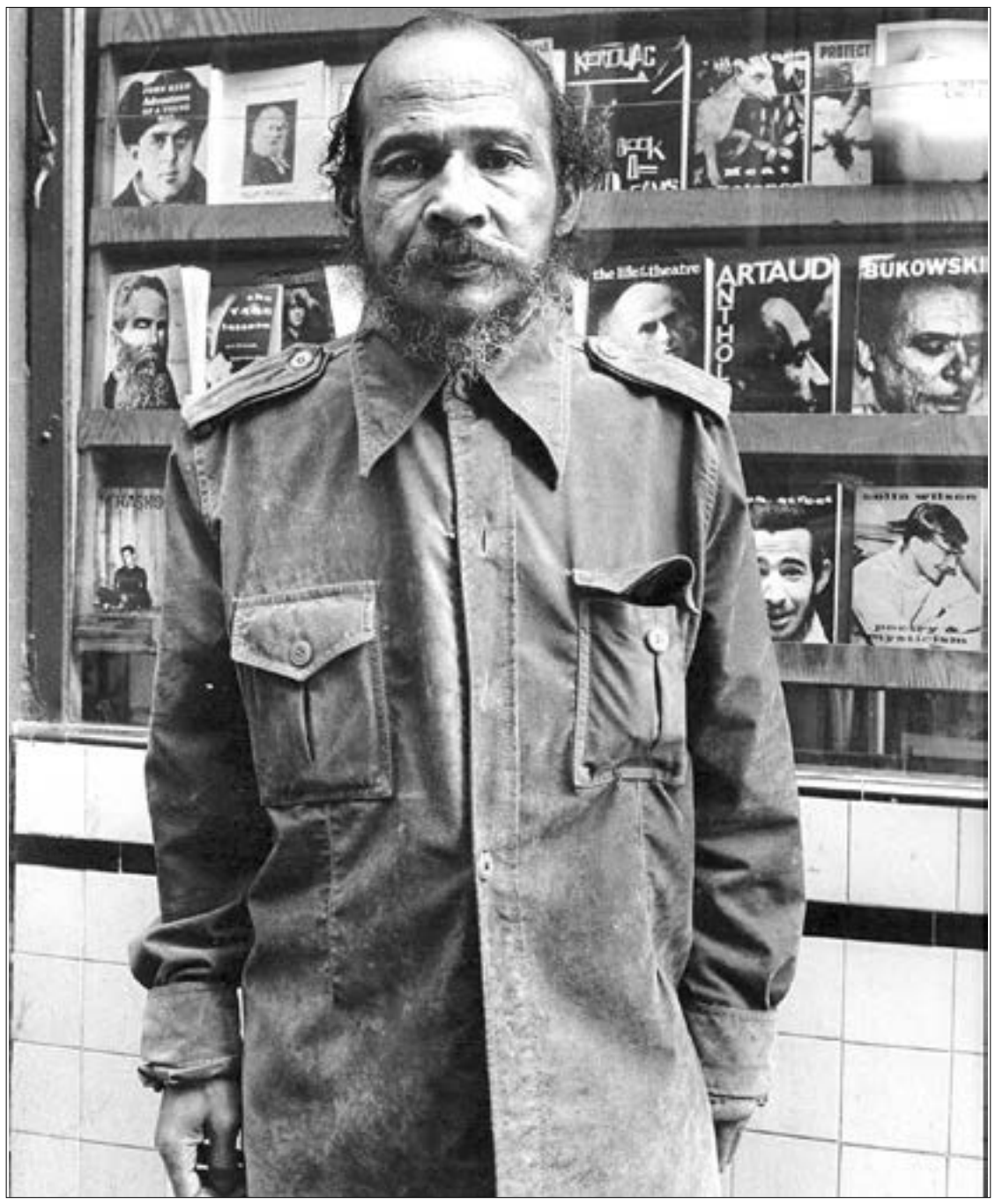

ما من شاعر في أميركا ما بعد القنبلة الذرية، فكّك التاريخ الرسمي للولايات المتحدة ودحض رواياته وادعاءاته وهجا أبطاله المزيفين، وأشاد بأبطاله المغمورين كما فعل بوب كوفمان (1925 -1986). صحيح أنّ معظم شعراء «البيت» قاربوا هذا الموضوع بين حين وآخر سواء بالتهكم أو بالنقد السياسي، لكن كوفمان أعلاهم صوتاً، بل أقواهم صراخاً وأكثرهم جرأة وجذرية، وأعمقهم إيغالاً سياسياً في هذا الاتجاه، فرغم الميول والأفكار اليسارية و«الأناركية: اللاسلطوية» التي يحملها من سبقوه أو عاصروه من الشعراء «البيض»، فإنّ قلة منهم تجرّؤوا على مواجهة العنصرية في أميركا.

شعره خلاصة للثقافة المضادة متجسّدة في تمسكه بالثقافة الفرعية والهوية المقموعة، فتبنى التميز العرقي بديلاً من التمييز العنصري ودفع ثمن هذا الخيار فادحاً بعذاب الجسد وغربة الروح. ربما كان لاستشعاره المباشر أثر في هذا «التميز»، فكونه «أسود» جعله يستشعر عذاب الصلب، الذي عاشه في السجن والاعتداء الجسدي، أكثر ممن يرون المصلوب، أو حتى أولئك الذين يساعدونه على حمل الصليب في الطريق الشاقة إلى الجلجلة!

ولد بوب كوفمان في مهد الجاز: مدينة نيو أورليانز حيث استقر عدد كبير من المسترقّين الذين استقدموا من أفريقيا أثناء حقبة تجارة الرقيق. بيد أن هؤلاء لم يكونوا مجرد «عبيد» أو أيدٍ عاملة في المزارع والمصانع، لكنهم بشرٌ يحملون إرثاً روحياً وفولكلوراً أصيلاً، إذ جلبوا معهم تقاليد موسيقية راسخة، تمثلت في الأغاني الحزينة الصارخة في المزارع، معبرين من خلالها عمَّا يعانونه من ظلم واستغلال حيث يحصد الفلاحون بيادر من قمح، ليذهب ريعه إلى مستعبديهم بينما لا يجنون ما يسدون به رمقهم وكثيراً ما ينام أبناؤهم جوعى.

وهكذا، فإنّ موسيقى الجاز تعدّ تذكيراً بمجتمع قمعي وعنصري وتدين القيود المفروضة على رؤاهم الفنية وتنطوي في الوقت نفسه، عبر سمتها الارتجالية، على انشقاق عن التقاليد السائدة وانعزال عن الجماعة المتسلطة، وتمرّد على القطيعية.

يحضر الجاز بقوة، في شعر كوفمان ليعبر من خلال أجوائه وأبطاله وتاريخه، عن عالمه الأثير والمأثور وعن ثوريته الأصيلة، فموسيقى الجاز، إضافة إلى كونها ثورةً فنية، ثورة اجتماعية تدعو إلى علاقات أكثر إنسانية وتعايش طبيعي وسليم يؤمن بالاختلاف. كما تظهر قصائد كوفمان خصوصية حياته الشخصية، فشعره ارتجالي وشفاهي كموسيقى الجاز، وحزين كموسيقى البلوز، وحياته ليلية كحياة الموسيقيين السود، وهو مدمن مخدرات مثل معظم موسيقيي الجاز، وهكذا جمع بين شخصية «البيتنك» ونشوة موسيقى الجاز.

ومن المهم هنا التفريق بين تاريخ مصطلح «البيت» ومصطلح «البيتنك»، فالأول عام، يشمل معظم شعراء الجيل. أما الثاني، فـ«شخصي» يخصّ كوفمان تحديداً وهو أول من استخدمه في الشعر. فمفهومه لـ «البيت» يرتبط بالموسيقى الأفريقية، وتحديداً قرع الطبول، وعوالم الطبّالين وعازفي الجاز والبلوز السود، الذين كانوا أبرع من نظرائهم البيض. ومع هذا ظلّوا يتقاضون أجراً أقل، وينظر إليهم بعنصرية. كذلك، ارتبط تعاطي المخدرات بأشهر عازفي ومغني ذلك العصر من الزنوج: تشارلي باركر وبيلي هوليداي وسواهما. وبهذا المعنى، فإنّ «البيتس» هم أهل القَرْع والقاع (المهمشون والمعدمون السود من الفنانين والموسيقيين)

أما «البيتنك»، فهو مصطلح جرى نحته لاحقاً من لفظتي «بيت» و«سبوتنك»: أول قمر صناعي روسي أطلق إلى الفضاء الخارجي. لذا فهو تطوير أكثر تطرفاً من المصطلح السابق، إذ يعبّر عن الانفصال والابتعاد الكلي عن المجتمع والعالم الأرضي نحو فضاء خارجي، وعالم كوكبي، كما يلمِّح إلى السمة (أو الشبهة) الشيوعية التي أصبحت قرينة بشعراء ذلك الجيل، ولا سيما كوفمان الذي مثّله أحسن تمثيل في شعره وسلوكه وحياته وحتى في طبيعة زيه.

يزخر شعر كوفمان، كذلك، بإشارات واضحة لما كابده من وضعه تحت الرقابة من قبل الأمن الفيدرالي الأميركي بوصفه مُشتبهاً به في الانتماء إلى الشيوعية. وتظهر وثائق مكتب التحقيقات الفيدرالي (راجع موقعنا) التي نشرت بعد وفاته أنّه كان محلّ رصد، وهدفاً لتقارير حول علاقته بالحزب الشيوعي ونشاطه النقابي بين أوساط عمّال الموانئ، وهو ما كان محظوراً في الولايات المتحدة ويعادل الخيانة العظمى.

في خضم تلك الأجواء، كتب نصّه السريالي الطويل (البيان الأبوممي) ذا الصرخة الاحتجاجية الهجائية الساخرة، وصدّره بعبارة لافتة (كتبه: بومكوف) وظل متشرداً وشبحاً لا يظهر إلا في سواد الليل لينظّم لأصدقائه من البحّارة القدامى في الحانات ليغنّي معهم حين يسكر «النشيد الأممي» وسواه من الأناشيد الشيوعية.

وإلى جانب توجهه اليساري جمع بين «الحداثة الشعبوية» والثورية السريالية وتقاليد «الزنج» البوذية التي أصبحت سمةً مهيمنةً في الثقافات المضادة في الستينيات. فقد فهم السريالية على أنها تجسيد لمبدأ بروتون المتمثل في «العصيان الكامل». لكنّ «شطحات» كوفمان للسريالية أكثر ارتباطاً بالتاريخ والسياسة، فكان بحق أحد رواد «الأفروسريالية» بتعبير أميري بركة الذي أكد أنّ الأفروسريالية تفترض «أن خلف هذا العالم المرئي، عالماً غير مرئي يسعى إلى الظهور ومهمتنا الكشف عنها». لذا، فإنّ تبنّي كوفمان لـ «الوعي السريالي» أتاح له استكشافات أكثر اتساعاً للسواد، حين يهمش هذا السواد أو يشعر بأنه مقموع تحت وطأة الثقل الساحق والمدمر لمنظومة القمع الغربية، فما هو استثنائي يتيح برهة ما رؤى تخيُّلية تعيد تشكيل ما يمكن أن يكون عليه السواد من جماليات. وهي الجماليات التي دأب على خلقها بتوظيفه للموروثات التي خلّفتها العبودية كما في قصيدة «حلم أفريقي» وعبر ربطه بين الإمبريالية والعنصرية والإبادة للسكان الأصليين. وهو أمر شائع في إرث اليسار الأدبي في فترة الحرب الباردة، وصل إلى وصف الإعدامات في أميركا بنوع من الإبادة، كإعدام الزوجين جوليوس وإيتيل روزنبرغ اللذين أدينا بتهمة التجسس لمصلحة الشيوعية. وخصّص لكارل تشيسمان الذي أدينَ بالسرقة والاغتصاب وأعدم في غرفة الغاز، نصّاً طويلاً هو كناية عن شريط تسجيلي يمزج من رعب هيتشكوك والفكاهة السوداء لشابلن ويعمد إلى السخرية من سينما هوليوود ونجومها المصنّعين، حيث يتلاعب باسم كاريل تشيسمان، فيحرِّفه ويقلّبه على أوجه عدة. سواء الأول: كارل، وكارلو، وكارلوس، وكوريل... أو الثاني تشي، تشاي، تشيس.. إلخ. لإضفاء طابع كوزموبوليتي على شخصية تشيسمان التي نالت قضية محاكمته اهتماماً عالمياً. كما يتلاعب بالكلمات داخل النص، فيوظّف الجناس بين الغاز والجاز: «استمعوا إلى صوت الغاز على موجة...» ليخلق مفارقةً تهكمية بين موسيقى السود، التي تصنع حياة جديدة في أميركا، وبين الغاز، المستخدم في حجرات الإعدام التي وصفتها «التايمز» بأنها «آلة تنظيف صحي يضطر المجتمع المتحضر إلى ابتكارها لحماية نفسه من لوثة المجرمين المرضى نفسياً».

كثيراً ما ردد تشيسمان أثناء المحاكمة أن القضاة مصممون مسبقاً على قتله. ولهذا قرر أن يدافع عن نفسه باستماتة، بعدما قرأ مجلدات كثيرة من كتب القانون، لهذا يشبّهه كوفمان بثور «البيسون» في حلبة مصارعة أو في براري أميركا الشاسعة. والبَيسون (الجاموس الأميركي) مرتبط برمز حرب المستوطنين الأميركيين ضد السكان الأصليين حيث أصدرت حكومة الولايات المتحدة المُستعمرة في ذروة حربها ضد الهنود الحمر، قراراً بصيد هذه الجواميس بهدف تجويعهم وإجبارهم على الاستسلام أو الموت.

«كانَ كارل تشيسمان جاموساً أميركياً
زاخراً بالأجنَّة
قتلَهُ سفَّاحونا المتقيّئون،
كَان كارل تشيسمان جاموساً أميركياً،
يرَعْدُ عبرَ مَرعى كاليفورنيا الكاذب
أثخنتهُ السهامُ المسمومةُ للسلطةِ»

لقد اختار كوفمان خياراً أقل ما يقال عنه إنه قاس: أن يكون صوته الصراخ الصريح لمن قُمِعوا وكُتمتْ أصواتهم في التاريخ الأميركي، مجسّداً الفكرة التي صاغها ابن جلدته لانغستون هيوز لـ «الزنجي الأحمر الجديد» في مسرحيته الشعرية عن «فتية سكوتسبورو» ويدمجها مع فكرة «المسيح الأسود» في الثقافة الكاريبية ليخلق صورة العذاب لبني تلك الهوية العرقية التي خرج منها ونشأ معها:

«أميركا، أَغْفرُ لكِ. . . أَغْفرُ لكِ
وأنتِ تُسمِّرين مَسيحاً أسود
على صَليبِ مُستورَدٍ
كُلَّ ستَّةِ أسَابيع».

واختار أن يُظهرُ هوية ولَوعةَ تلك «الثمار الغريبة» في الأشجار الأميركية (عنوان الأغنية للمطربة الزنجية بيلي هوليداي) كناية عن السود الذي أعدموا وعلّقت جثثهم على الأشجار. (كانت بيلي هوليداي نفسها أحد أبطاله، إذ جرى إسكاتها ومنعت من غناء أغنيتها تلك في مسارح أميركا) لكن حين جرى إسكات كوفمان أو دفعه إلى الصمت، ظل صمته أكثر احتجاجاً مدركاً أن صرخته سيتردد صداها يوماً حتى بعد صمته الأبدي.

لقد كانت حياته بين صراخ وصمت. لكنه حتى في مدة صمته كان - كما يؤكد أصدقاؤه في سان فرانسيسكو - يختزن في نظراته صراخاً مخيفاً يواجه به العنصريين وشرطة سان فرانسيسكو الذين ربما نجحوا في دفعه إلى الصمت، لكنهم فشلوا في ترويض ذلك الاحتجاج العميق والصارخ في عينيه.

* شاعر عراقي

> ما من شاعر في أميركا ما بعد القنبلة الذرية، فكّك تاريخها الرسمي كما فعل كوفمان

Samedi 3 Février 2024 no99
السبت 3 شباط 2024 العدد 99

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

قرار «العدل الدولية»: تحذير داعمي إسرائيل

[7.6]

«الفورنزكس» نقطة تحوّل

[3.2]

(من الويب)

المختبر الجنائي

لا تزال قضّة جريمة رنا بعينو مفتوحةً على التأويلات وتضارب الروايات عن حقيقة تسلسل الأحداث التي أودت بحياتها في 27 حزيران 2019. تؤكّد الجهة المدعية أنّ الضحية قُتلت داخل سيارة قبل أن يرميها المتّهم خارجاً لتسقط على ظهرها، بينما يظهر السيناريو المقدّم من الجهة المدّعى عليها أنّ الزوجة هي من رمت نفسها من السيارة بعد سجال وصراخ بينها وبين زوجها أثناء توجّههما من منزلهما في بلدة بطلون إلى بحمدون. في 31 تشرين الثاني 2023، أصدرت محكمة التمييز قراراً بإلغاء حكم محكمة الجنايات الصادر ببراءة شربل الهبر من تهمة قتل زوجته، وأعادت القضية إلى محكمة الجنايات لإعادة المحاكمة. يُعدّ قرار محكمة التمييز في القضية نقطة تحوّل مهمة لعدد من الأسباب، منها إبراز قيمة الأدلة الجنائية ودورها الحاسم في ضمان نتائج دقيقة وعادلة في نظام العدالة الجنائية، كما يُظهر كيف تتجاوز هذه الأدلة الادّعاءات الظرفية وشهادات الشهود، وتقدم بيانات ملموسة وموضوعية يمكن أن تؤكّد أو تُكذّب الروايات، ما يقلل من احتمالية الأحكام الخطأ

أهمية الأدلّة الجنائية في التحقيقات ومنع الأحكام الخطأ

نقطة تحوّل في قضيّة رنا بعينو

جنان الخطيب

تُبرز قضية رنا بعينو المخاطر المحتملة في الاعتماد الكلي على روايات الشهود أو الأدلّة الظرفية، والتي يمكن أن تكون ذاتية وعرضة للخطأ أو التلاعب. في حين توفّر الأدلة الجنائية أساساً أكثر موضوعية وموثوقية للأحكام القانونية، ما يقلّل من خطر الإدانات أو البراءات الخطأ بناءً على معلومات غير دقيقة أو ناقصة. يعزّز القرار الصادر عن محكمة التمييز أهمية تضمين التحقيقات الجنائية بروتوكولات وتحليلاً جنائياً صارماً، لضمان تحقيق العدالة عبر صنع القرار الدقيق والحيادي.

إلى ذلك، تضع قضية بعينو سابقة قيّمة للقضايا الجنائية المستقبلية عبر إبراز فعالية الأدلة الجنائية في حل القضايا المعقّدة وكشف الحقيقة. وهذا من شأنه أن يدفع إلى زيادة الاعتماد على تقنية العلم الجنائي والخبرة في هذا المجال، ما يؤدي إلى تحقيقات أكثر شمولاً ودقة عبر النظام القضائي. إلى ذلك، قد تُشجّع هذه القضية فرق الدفاع على إعطاء الأولوية لجمع تحليلاتهم الجنائية الخاصة وتقديمها لمواجهة أدلة الادّعاء، ما يؤدي في النهاية إلى عملية قانونية أكثر توازناً ودقة.

ماذا حدث؟

في 27 حزيران 2019، توفيت المفتش الجمركي رنا بعينو، البالغة من العمر 32 عاماً، نتيجة جروح خطيرة في رأسها إثر سقوطها من سيارة زوجها شربل الهبر في منطقة بحمدون في جبل لبنان. ادّعى الهبر في البداية أن زوجته انتحرت بإلقاء نفسها من السيارة، ولكنّ التحقيقات الأولية كشفت أنّ الهبر هو من قتل زوجته.

في 2019/12/16 أصدر قاضي التحقيق السابق في جبل لبنان، الرئيس زياد مكنّا، القرار الظني الرقم 2019/488، اعتبر فيه وخلافاً لرأي النيابة العامة الاستئنافية أنّ المتهم أقدم على قتل زوجته قصداً ما يوجب إدانته سنداً لأحكام المادة 547 ق.ع التي تصل عقوبتها إلى حبسه مدة خمسة وعشرين عاماً.

في 13 تموز 2023، أصدرت محكمة الجنايات في جبل لبنان حكماً ببراءة الهبر من تهمة القتل القصدي، وحكمت عليه بالسجن خمس سنوات بتهمة التسبّب في الوفاة. وجاء في حيثيّات الحكم أنّ المحكمة لم تجد أدلة كافيةً لإدانة الهبر بالقتل القصدي،

> عبر أخذ ارتفاع السقوط ووزن الجسم وسطح الهبوط في الحسبان يمكن تقدير القوى المتضمنة في السقوط المحتمل ومقارنتها بالإصابات

وأنّ أقواله عن وقوع الحادثة نتيجة انتحار زوجته كانت معقولة.

في الحكم الصادر عن محكمة الجنايات، سنداً إلى الوقائع والأدلة والنصوص القانونية، تبيّن أنّ خلافاً نشب بين الزوجين أثناء توجّههما من منزلهما الكائن في بلدة بطلون إلى بحمدون في سيارة الزوج، أدى إلى سجال وصراخ بينهما، وأنّ الزوجة هي مَن عمدت إلى رمي نفسها من باب السيارة على عكس ما ورد في التحقيقات الأولية عن إقدام الزوج على رميها، وقرّرت هيئة محكمة الجنايات إعلان براءة المتّهم من جناية المادة 547/ عقوبات لعدم كفاية الدليل، وتجريمه بجناية المادة 550 التي تنصّ على عقوبة الأشغال الشاقة مدة خمس سنوات على الأقل ضدّ مَن تسبّب من غير قصد القتل بالضرب أو العنف أو الشدة أو بأيّ عمل آخر مقصود، على أن تُحتسب له مدّة احتجازه وتوقيفه، وإطلاق سراحه فوراً لثبوت انقضاء محكوميّته ما لم يكن موقوفاً لداعٍ آخر، وإلزامه بتسديد مبلغ ستة مليارات ليرة لبنانية نقداً إلى الجهة المدعية، وتضمينه الرسوم والنفقات كافة.

في 31 تشرين الثاني 2023، أصدرت محكمة التمييز قراراً بإلغاء حكم محكمة الجنايات الصادر ببراءة الهبر، وأعادت القضية إلى محكمة الجنايات لإعادة المحاكمة. جاء في طلب النقض المقدّم من النيابة العامة التحقيق السابق في جبل لبنان، الرئيس زياد مكنّا، القرار الظني الرقم 2019/488، اعتبر فيه وخلافاً لرأي النيابة العامة الاستئنافية أنّ المتهم أقدم على قتل زوجته قصداً ما يوجب إدانته سنداً لأحكام المادة 547 ق.ع التي تصل عقوبتها إلى حبسه مدة خمسة وعشرين عاماً.

في 13 تموز 2023، أصدرت محكمة الجنايات في جبل لبنان حكماً ببراءة الهبر من تهمة القتل القصدي، وحكمت عليه بالسجن خمس سنوات بتهمة التسبّب في الوفاة. وجاء في حيثيّات الحكم أنّ المحكمة لم تجد أدلة كافيةً لإدانة الهبر بالقتل القصدي، الاستئنافية في جبل لبنان أنّ الحكم بالبراءة كان مبنياً على أسس قانونية غير سليمة، وأنّ المحكمة لم تأخذ في الحسبان جميع الأدلة التي تثبت أنّ الهبر هو من قتل زوجته. فقد تجاهل الحكم السابق مسألة ضبط السكين الملطّخة بالدماء داخل السيارة، إضافة إلى إهمال التقارير الطبية لجهة تعرّض المغدورة لإصابات بالغة في الجهة اليسرى من جسدها والتي يُستدلّ منها نية المحكوم عليه بإزهاق روح المغدورة. وتضمّن قرار محكمة النقض عدداً من الملاحظات المهمة، منها:

- أكّدت المحكمة أن العلاقة بين الهبر وزوجته كانت متوتّرة، وأنهما كانا على خلاف شديد يوم وقوع الحادثة.
- أشارت إلى أن أقوال الهبر عن وقوع الحادثة كانت غير منطقية ولا تتوافق مع الأدلّة المادية.
- ذكرت أن نقص الأدلة المادية لا يعني بالضرورة البراءة، وأن المحكمة يجب أن تأخذ في الحسبان جميع الأدلة، بما في ذلك الأدلة غير المادية.

«الفورنزكس» في قضية بعينو

من الجدير بالذكر أنه في حين أنّ الأدلة الجنائية لا تقدّر بثمن، من المفترض دائماً تفسيرها وتقييمها من متخصّصين مؤهلين داخل سياق أوسع للتحقيق. عليه، إنّ إعادة فتح القضية وإعادة تحليل الأدلة الموجودة من المفترض أن يتّبعا مساراً دقيقاً علمياً لتحديد تسلسل الأحداث التي أودت بحياة الضحية.

في هذه القضية تحديداً، تلعب الفيزياء الجنائية "Forensic Physics" دوراً مهماً في التحقيق، علماً أنها نادراً ما تقدّم أدلةً قاطعةً بمفردها. بالتالي، إنّ تحقيقاً شاملاً يجمع بين الفيزياء الجنائية والكشف الدقيق على مسرح الجريمة والدراسة التفصيلية للدماء والانسيابات الدموية والفحص المفصّل والمتكامل لجثة الضحية ولآثار الجروح الموجودة عليها أمر ضروريّ لكشف حقيقة ما حدث بالفعل ومنع الإدانات الخطأ وتحقيق العدالة للضحايا وعائلاتهم.

بناءً على ذلك، يعتمد تحديد ما إذا كان الجسم الموجود خارج السيارة قد سقط أم أُلقي بالقوة على تحليل دقيق من مختلف التخصصات الجنائية، بما في ذلك الفيزياء.

- تحليل موقع الجسم والإصابات:
- الموقع: إذا عُثر على الجسم بعيداً من السيارة، خاصة بزاوية غير متّسقة مع السقوط المباشر، فقد يشير ذلك إلى الرمي.
- الإصابات: لطبيعة الإصابات وتوزّعها دلالات مهمّة. قد تشير إصابات الارتطام على أجزاء معيّنة من الجسم مثل مؤخرة الرأس أو الجذع إلى الرمي القوي، بينما قد تشير الخدوش والجروح المتّسقة مع التدحرج إلى السقوط.
- تحليل بناء تسلسل الأحداث:
- إعادة بناء تسلسل الأحداث:
- تحليل بقع الدم: يمكن أن تكشف أنماط بقع الدم داخل السيارة والمنطقة المحيطة عن تسلسل الأحداث التي أنتجت إراقة الدماء. ما هو مصدر الدماء وما هو اتجاهه؟ كيف انسابت الدماء على جسد الضحية؟ ما هو نمط الدماء الموجود على المقعد؟ وعلى يدي المشتبه به؟
- تحليل الحطام: يمكن أن يوفر الحطام المنتشر حول مسرح الجريمة، مثل الزجاج المكسور أو أجزاء السيارة، أدلة حول حركة السيارة ومسار رمي الجسم أو سقوطه.
- حساب قوى التصادم:
- تحليل السقوط: عبر أخذ ارتفاع السقوط ووزن الجسم وسطح الهبوط في الحسبان، يمكن للفيزيائيين الجنائيين تقدير القوى المتضمنة في السقوط المحتمل ومقارنتها بالإصابات الملاحظة. تساعد هذه المقارنة في تحديد ما إذا كانت الإصابات متسقة مع ارتفاع السقوط والبيئة.
- تحليل الرمي: إذا كان يُشتبه في الرمي، يمكن للفيزيائيين تقدير القوة اللازمة لطرد الجسم من السيارة بسرعة وزاوية معيّنتين. يمكن مقارنة ذلك بإمكانات السيارة والقوة المحتملة للرمي للمشتبه به.
- الكشف الدقيق على الجثة ونوع الجروح عليها:
- الوضع العام للجثة: هل توجد أي علامات على وجود مقاومة أو دفاع من الضحية؟ الملابس مرتبة أو ممزقة أو بها أيّ علامات تدل على وجود صراع؟
- موقع الإصابات ونمطها: الإصابات الناجمة عن الرمي من سيارة متحركة قد تتركز في مناطق معينة مثل الرأس والرقبة والصدر، بسبب الاصطدام بالأرض أو الأشياء عند الهبوط. أما السقوط من وضع ثابت، فقد يظهر إصابات موزعة بشكل أكثر توازناً.
- طبيعة الإصابات: أنواع معينة من الكسور والتمزقات والكدمات يمكن أن تشير إلى قوة الارتطام واتجاهه. على سبيل المثال، قد تشير الكسور الشديدة في الأطراف إلى سقوط عالي السرعة أو رمي قوي.
- الإصابات الداخلية: يمكن أن يحدث تلف للأعضاء الداخلية مثل الكبد أو الطحال بسبب التباطؤ المفاجئ أو الصدمة الحادة، وهو ما قد يكون أكثر احتمالاً في الرمي العالي السرعة من السقوط البسيط.
- نوع الجروح على الجثة: طعنية، رضحية، أم قطعية؟ وما هو اتّجاهها؟
- تقرير التشريح: يتعمّق هذا المستند التفصيلي الذي كتبه أخصائي الأمراض الشرعية في طبيعة الإصابات ومداها. عبر تحليل هذه الإصابات، يمكن للخبراء مقارنتها بالآثار الناتجة من السقوط أو الرمي بناءً على مبادئ علم الحركة الحيوية والفيزياء.

> هلي يوجد ترشيش دموي داخل السيارة إلى ناحية الباب؟
>
> هل الدم موجود على شكل لطخات أم بقع؟

الفيزياء الجنائية

تلعب الفيزياء الجنائية دوراً أساسياً في حالات سقوط الشخص من السيارة بعد دفعه، حيث تعمل على إعادة بناء الحادثة وتحليل الإصابات الناجمة عنها. ويركز التحقيق بشكل أساسي على سرعة السيارة واتجاهها. بناءً على آثار الانزلاق وآثار الإطارات والبقايا المتناثرة، يستطيع الخبراء تقدير سرعة السيارة واتجاهها عند دفع الجسم. يساعد هذا على تحديد ما إذا كانت السيارة تتحرك أم كانت متوقفة، وزاوية رمي الجسم.

كما يحدد التحقيق الفيزيائي الدقيق مسار الجسم وارتطامه عبر تطبيق قوانين الحركة، إذ يمكن للخبراء الفيزيائيين الجنائيين حساب مسار الجسم بعد دفعه، مع الأخذ في الحسبان عوامل مثل مقاومة الهواء واحتكاك الأرض. يساعد هذا على تحديد موقع الهبوط وقوة الارتطام، ما يقدّم أدلة عن اتجاه الدفع وشدة القوة. إلى ذلك، عبر فحص طبيعة الإصابات وموقعها على الجسم، يستطيع الفيزيائيون استنتاج نقطة الارتطام واتجاه القوة. على سبيل المثال، قد تشير كسور عظام معينة إلى أنّ الجسم سقط على ظهره أو تعرّض لضربة من جسم معين.

يجمع هذه الجوانب، ترسم الفيزياء الجنائية صورة للحادثة، وتميّز بين الدفع أثناء التوقف أو الحركة، والوقوع العرضي، والتلاعب المحتمل، فيصبح السيناريو الذي أعيد بناؤه دليلاً مهماً في تحديد سبب الوفاة والمسؤولية المحتملة.

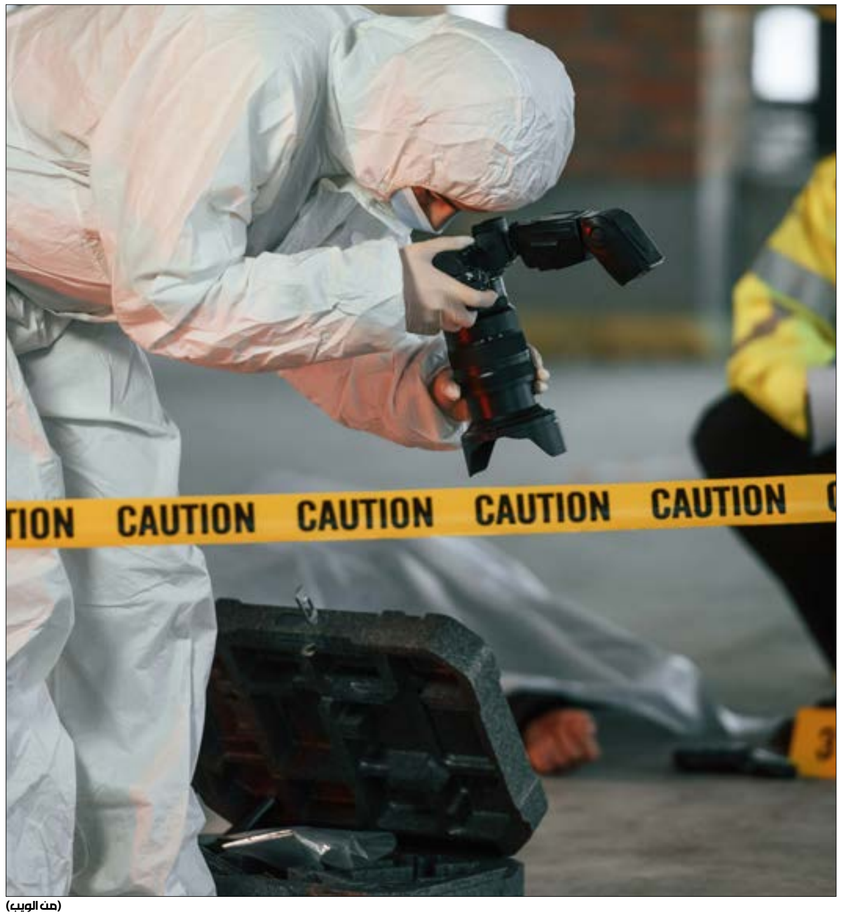

(من الويب)

بعض ثغرات التحقيق

من المهم التأكيد على أن قرار محكمة التمييز الصادر في قضية رنا بعينو هو نقطة تحوّل لجهة استخدام الأدلة العلمية الجنائية في القضاء اللبناني، بغض النظر عن النتيجة التي سيتوصل لها الخبراء بتطبيق العلم الجنائي، التي قد تؤكد أو تنفي الحقيقة التي جرى التوصل إليها في الحكم الصادر عن محكمة الجنايات. بمعنى آخر، إن تطبيق العلم الجنائي واستخدام الأدلة المادية وعلاقتها المتبادلة سيؤدي حتماً إلى كشف الحقيقة، وتحديد تسلسل الأحداث التي أحاطت بالقضية، ويمنع الإدانات الخاطئة وكذلك الإفلات من العقاب.

من خلال مراجعة الحكم الصادر عن محكمة الجنايات في هذه القضية، يتضح أن الاعتماد المكثف على إفادات الشهود والمشتبه به أدى إلى كثير من التناقضات وضلل التحقيق، فيما تم إهمال أدلة جنائية حيوية قادرة على كشف الحقيقة وتحديد تسلسل الأحداث بشكل دقيق، أهمها الكشف الدقيق على السيارة ودراسة أنماط الدماء داخلها، هل يوجد ترشيش دموي داخل السيارة إلى ناحية الباب؟ أو على المسكة؟ هل الدم موجود على شكل لطخات أم بقع؟ هل هناك دليل على نزف الضحية داخل السيارة؟ أو عند السقوط منها؟

من الأدلة التي أهملت أيضاً كان دراسة نوع ونمط الدماء الموجود على السكين الذي تم العثور عليه داخل السيارة، كذلك الدماء على الأرض حيث تم العثور على الضحية. كما تم اهمال دراسة ملابس الضحية لناحية وجود أوساخ أو تمزقات ناتجة عن الطريق. من خلال التحليل العلمي الدقيق لتلك الأدلة المادية وغيرها، إن العلم الجنائي قادر على كشف حقيقة ما حدث مع رنا بعينو.

في العمق

قضية المفقودين في لبنان: لن ننسى

فاطمة خشّاب درويش

الاف من اهالي المفقودين في لبنان لم ييأسوا بعد رغم مرور كل هذه السنوات، يناضلون على اكثر من جبهة لنيل حقهم بالكشف عن مصير احبّتهم، مهما كان هذا المصير.إذا كانوا أحياء أين هم اليوم؟ وإن كانوا في عداد الأموات، أن يتأكدوا بالدلائل والبراهين العلمية من ذلك، لتسيّج القبور ويُعلن الحداد وتُذرف الدموع.

أكثر من 41 عاماً مضت ولا تزال قضية المفقودين في لبنان حاضرة بقوة الإنسانية رغم كل التحديات. راهن المسؤولون على الوقت لطمسها والتخلّص من الذاكرة الجماعية، لكن من بقي من اهالي المفقودين هرموا ولم ينسوا، (راجع الأخبار تاريخ 28 آذار 2023، «خط زمني يوثّق 40 عاماً من قضية المفقودين: فليكن معرضاً دائماً»)، فالأحبة لا ينسون أحباءهم، وهؤلاء المفقودون لا يمر عليهم الزمن (راجع «القوس»، تاريخ 5 آذار 2022، «المفقودون لا يمرّ عليهم الزمن).

تتحدّث رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين وداد الحلواني لـ«القوس» عن المسار النضالي الطويل الذي بدأ قبل 41 عاماً، مع تأسيس لجنة أهالي المفقودين في لبنان في 24/11/1982، بهدف معرفة الحقيقة والكشف عن مصير جميع الضحايا الذين خُطفوا وفُقدوا خلال الحرب (1975-1990)، مشيرة إلى أنّه «على مدى كل السنوات التي مرّت بها قضية المفقودين، لم نحد يوماً عن القضاء. كانت أول محطة فعلية توجّهنا فيها إلى القضاء عام 2009، حين تقدّمت اللجنة بشكوى أمام مجلس شورى الدولة لتسلمنا نسخة عن التقرير النهائي الذي أعدّته اللجنة الرسمية التي كُلفت عام 2000 بالكشف عن مصير المفقودين». وتضيف: «أنصفنا القضاء وأصدر قراراً يقضي بأن تسلّم الدولة أهالي المفقودين نسخة عن التقرير. ورغم أن القرار ملزم، إلا أنّه صار هناك غمز من قناة إثارة الفتن الطائفية، فطلبت الحكومة حينها وقف تنفيذ القرار في إطار دعوى رفعتها لإعادة المحاكمة في القضية. ولم تكتف الدولة بطلب وقف تنفيذ حكم مجلس شورى الدولة، بل طالبت بإعادة المحاكمة من أساسها. إلا أن مجلس الشورى أصدر قراره بردّ هذا الطلب، واعتبر أنّ أي تأخير في تسليم نسخة بكامل ملف التحقيق بمثابة تصرف ضد قانون موقّع من قبل الدولة اللبنانية وهو قانون مناهضة التعذيب، ولم يتحقق ذلك إلا بعد اعتصامات قامت بها اللجنة». وتتابع: «تحت شعار الخوف من إثارة النعرات الطائفية وتهديد السلم الأهلي، امتنعوا بين عامي 2000 و2014 عن تسليمنا تقرير اللجنة. لكنّ القضاء اللبناني أنصفنا، رغم كل هذه المحاولات، وتسلّم المحامي نزار صاغية تقرير اللجنة بصفته موكّلاً عن لجنة أهالي المفقودين وجمعية دعم المعتقلين والمنفيين اللبنانيين (سوليد) التي تُعتبر شريكة في النضال».

وتقول حلواني: «خلاصة تقرير اللجنة: لم نجد أحياء من المفقودين وإنما وجدنا مقابر جماعية في عدد كبير من المناطق اللبنانية. وحدّد التقرير مقبرتين في ما كان يسمى المنطقة الشرقية، ومقبرتين في ما كان يسمى المنطقة الغربية. حتى في هذه القضية اعتمدوا قاعدة 6 و6 مكرر، ولم يسلّمونا أي دليل. نشروا صفحة ونصف صفحة فقط».

(الاخبار)

لا إحصاءات دقيقة

17000 مفقود هو التقدير الرسمي لعدد المفقودين بعد انتهاء الحرب الأهلية. لم يجرِ إحصاء رسمي يقدّم رقماً محدداً بعد انتهاء الحرب، وتركز الحديث عن تقديرات للخسائر البشرية والمادية. وتشير حلواني إلى أن «اللجنة لم تتواصل مع 17000 عائلة مفقود، هذه مهمة الدولة، نحن بادرنا منذ تشكيل اللجنة في عام 1982، وكانت الحرب لا تزال مشتعلة، إلى دعوة كل من فقد أحداً من أسرته إلى التسجيل في سجلّاتنا، وتضم لوائح لجنة المفقودين في لبنان بين 2500 و2600 مفقود. الإحصاء أمر دقيق يتطلب تجهيزات وأموالاً وكوادر بشرية لإنجازه».

قانون ومرسوم تطبيقي

أقر قانون المفقودين والمختفين قسراً في 13 تشرين الثاني 2018، وصدر في الجريدة الرسمية في 30 تشرين الثاني 2018 (رقم 105 تاريخ 2018/11/30). وتؤكد حلواني أن إقرار القانون «إنجاز مهم جداً ليس فقط لأهالي المفقودين بل للمجتمع اللبناني برمّته كونه يساعد على قيام الدولة مجدداً».

بعد عامين، صدر أوّل مرسوم تطبيقي للقانون 2018/105، والمتعلّق بتشكيل الهيئة الوطنية

> قالت مريم التي فقدت ابنها ماهر في منطقة الحدث عام 1982: ماهر حاضر في كياني لا يفارقني لحظة

للمفقودين والمختفين قسراً، المؤلّفة من عشرة أعضاء وفق المادة (10) منه، والمولجة بتقفّي أثر المفقودين والكشف عن مصيرهم (المرسوم الرقم 6570 تاريخ 7/3/2020).

تأسف حلواني لعدم إعطاء الهيئة المقوّمات الأساسية التي ينص عليها القانون 2018/105، وتقول: «تعمل الهيئة باللحم الحي، وقد أنجزت كل الوثائق الداخلية المطلوبة منها بموجب القانون، كما وضعت إستراتيجية وخطة عمل للمدة المتبقية لها. مطلبنا ونضالنا الأساسيان هما دعوة المجتمع اللبناني بأفراده وهيئاته وقطاعاته إلى الالتفاف حول الهيئة الوطنية للقيام بعملها كما يجب».

نضال مستمر

أطلقت لجنة المفقودين في لبنان على مدى سني عملها الطويلة عدة حملات وطنية ساهمت من خلالها في تحقيق خطوات باتجاه الحل وصولاً إلى انتزاع قانون المفقودين والمختفين قسراً (2018)، منها:

● في عام 2015 ، أطلقت حملة «حقنا نعرفه» طالبت من خلالها بإعلان 13 نيسان يوماً وطنياً للذاكرة.

● في عام 2017، أطلقت حملة «العريضة الوطنية» التي وقّع عليها أكثر من 5000 شخص بمن فيهم رؤساء أحزاب والرؤساء اللبنانيون (لا تتضمن تواقيع أهالي المفقودين)، وجرى تسجيل العريضة الوطنية في قلم مجلس النواب.

● في عام 2018، أطلقت حملة «لائحة المفقودين في كل لبنان» في أجواء الانتخابات النيابية، خاصة أن أسماء المفقودين لا تزال لوائح الشطب تتضمّنها.

● في عام 2023 أطلقت اللجنة، بتمويل من المركز الدولي للعدالة الانتقالية، كتاب «طواحين الهوى» الذي يوثّق حكايات أهالي المفقودين في لبنان.

طواحين الهوى

أعدّت لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان بتمويل من المركز الدولي للعدالة الانتقالية كتاباً بعنوان «طواحين الهوى»، يتضمن قصصاً قصيرة من تأليف 15 سيّدة من أهالي المفقودين والمختفين قسراً في لبنان بين عامَي 1975 و1990، آملاً منهنّ في أن تساهم هذه الحكايات النابعة من قلوبهن في التخفيف من حرقتهن، وأن تشكل هذه الصفحات المهمورة بختم أصحاب القضية مرجعاً وقيمة إضافية وضرورية لكتابة تاريخ الحرب الأهلية التي عاشها لبنان «حتى تنذكر وما تنعاد».

المركز الدولي للعدالة الانتقالية

«قضية المفقودين يجب أن تكون على رأس الأولويات التي يجب المسارعة إلى حلها. لا يمكن أن تقوم دولة القانون، ولا سلام مستدام ولا ديموقراطية حقيقية إلا إذا عالجنا الماضي. للأسف ملف المفقودين والمختفين قسراً لغاية اليوم لم يعالج في لبنان»، تقول نور البجاني نور الدين، مديرة برامج لبنان واليمن في المركز الدولي للعدالة الانتقالية، مشيرة إلى أن «قضية المفقودين والمختفين قسراً هي من أكثر الملفات التي يُعمل عليها من قبل المركز في لبنان». وتتابع: «ساهم المركز في صياغة المسوّدة الأولى لقانون المفقودين والمختفين قسراً، كما تابع القانون منذ تقديمه كمسوّدة إلى المجلس النيابي عام 2014 وصولاً إلى إقراره عام 2018. ومنذ إنشاء الهيئة الوطنية عام 2020، يقدم المركز الدعم لها قدر المستطاع من خلال تقديم الخبرات المالية والتقنية رغم التحديات الكبيرة وفي ظل غياب الإرادة السياسية لحل ملف المفقودين والمختفين قسراً». وتتوضح نور الدين: «نركز على توعية الشباب على قضية المفقودين والقضايا التي لها علاقة بالماضي حتى نستطيع بناء الحاضر والمستقبل، في هذا الإطار أتت فكرة كتاب طواحين الهوى، وعمل المركز على تدريب 15 سيدة من أهالي المفقودين على الكتابة الإبداعية لإيصال الفكرة إلى الرأي العام، هذه القصص يجب أن تبقى حيّة في ذاكرة الناس حتى الوصول إلى مرحلة كشف المصير والعدالة».

كي لا تموت القضية

اهتمت الكاتبة والروائية فاطمة شرف الدين بتعليم السيدات وتدريبهن على الكتابة الإبداعية إضافة إلى متابعتها الفردية لكل سيدة في المجموعة تنقيحاً وتصويباً على مدى سنة كاملة.

عن هذه التجربة، تقول: «كتاب طواحين الهوى يوثّق معاناة أهالي المفقودين حتى لا تموت القضية، الكلمة المطبوعة تخلد، المشاركات تفاوتن بمستوياتهن التعليمية، وكنت، بصفتي مدربة على الكتابة، أعطيهن أسس الكتابة، والمنطق في الانتقال من فكرة إلى فكرة، والتعبير عن مشاعرهن بطريقة غير مباشرة، والتعبير عن أي شيء مررن به».

تُرجم كتاب «طواحين الهوى» إلى الفرنسية والإنكليزية بهدف توعية الرأي العام على هذه القضية، كما تقام أنشطة عدة بالتنسيق مع اللجنة في المكتبات العامة والمعارض لتحقيق هذا الهدف.

هذه حكايتي

فقدت فاطمة جمال أختها حلمية علي جمال مع أطفالها الستة، ألفت وأحمد وحياة وزينب ونيفين ومصطفى، في منطقة النبعة، سنة 1977. كتبت حكايتها في «طواحين الهوى»، وجاء فيها: «أحياناً أحلم أن أختي تطرق باب بيتي وترتمي في حضني، أحلم أن نذهب معاً لزيارة قبري أمي وأبي لنطمئنهما على عودتها، أحلم كثيراً. سابقى أحلم إلى أن يتحقق أصغر أحلامي وهو معرفة مصير أختي وأولادها، مهما كان هذا المصير».

عاصفة داخل جسد

مريم سعيدي فقدت ابنها ماهر قصير في الجامعة اللبنانية في منطقة الحدث، في 17 حزيران 1982، كتبت تقول: «ماهر حاضر في كياني لا يفارقني لحظة، في تلك الزاوية من منزلي، تراه يسكنها، يواسي روحي بطبّات من أطيافه. ها أنا أجالسه في كل ثانية، وهو يرافقني في تفاصيل حياتي بعد أن تزوّج إخوته. ذاك الجسّم أدخل إلى وريدي رعشة ولادته من جديد، وذكّرني برهبة المخاض، تلك العاصفة التي لازمتني لكي أعيش حتى اخر رمق، عاصفة داخل جسد».

لم تنس جورج

تحت عنوان «رحلة في ماض أليم» كتبت سعاد أبو نكد التي فقدت شقيقها جورج على طريق رحلة - ضهور الشوير في 19 تموز 1983: «كانت أمي سيّدةً كلّها حيويّة وحياة وحركة. مرّ عمرها هدراً بسبب ماساة اختفاء أخي منذ فترة، تعبت وعجزت وأخي لم يعد بعد، صارت تردّد عليّ وعلى إخوتي، إذا رجع أخوكم وأنا لم أعد هنا، روّحوا اطرقوا على قبري وأخبروني أنه رجع، قد تعود إليّ الحياة ويعود قلبي ينبض من جديد. هذه أمي نسيتنا كلنا لكنّها لم تنس جورج. تحكي معه في الحلم، تضحك له، وهي ليست حاضرة ذهنياً معنا».

سين جيم

وصْل كاتب العدل لم يَصِل

صادق علوية

ينص نظام الكتاب العدل ورسوم كتابة العدل (بموجب القانون رقم 337 تاريخ 1994/06/08) على وجوب استيفاء الكاتب العدل الرسوم، بما فيها رسم المحاماة ورسم الطابع، ويُلزمه بوضع لائحة مفصلة بالرسوم المتوجبة للخزينة والأتعاب التي يتقاضاها عن كل معاملة في مكان بارز في دائرته تسهل رؤيتها وقراءتها، وأن يدوّن على كل معاملة بياناً مفصلاً وواضحاً بالرسوم والأتعاب المستوفاة، وان يعطي ايصالاً مفصلاً بها. لكن، في الواقع، معظم كتاب العدل لا يعطون إيصالات ولا يعلّقون لائحة بالرسوم، ولكل منهم تسعيرة مختلفة من دون رقابة أي جهة رسمية. وفيما هناك نوعان من أنظمة كتابة العدل في العالم، منها ما يمارس في دائرة خاصة ومنها ما يمارس في محاكم الدولة أو إداراتها كالسجل العقاري، يمارس كاتب العدل لبنان عمله في دائرته الخاصة، وليس في دائرة تابعة للدّولة.

من هو الكاتب العدل؟

الكاتب العدل هو ضابط عمومي، أي أنه مكلّف من قبل الدّولة بتوثيق الوثائق والسّندات وتصديقها والمصادقة على توقيعها وإثبات صحة التوقيع العائد الى الشّخص المعني والتحقّق من اهلية المتعاقدين وقبولهم التعاقد بمحض إرادتهم، ومن صفة وصلاحية الوصي والوكيل والشريك وممثل الشخص المعنوي، ويكون للأسناد التي ينظمها الكاتب العدل القوة الثبوتية نفسها الملازمة للاسناد الرسمية المنصوص عليها في قانون أصول المحاكمات المدنية، وذلك في حدود اختصاصه القيام بالأعمال المبينة في مختلف القوانين. ويتوجب على الكاتب العدل استيفاء الرسوم من أصحاب العلاقة لصالح الخزينة العامة، اوهي رسوم كتاب العدل وباقي الرسوم بما فيها رسم المحاماة ورسم الطابع وغيرهما.

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

كيف يقوم الكاتب العدل بتوريد الرسوم الى الخزينة العامة؟

يتقاضى الكاتب العدل الرسوم من اصحاب العلاقة لصالح الخزينة ويتوجب عليه توريد الرسوم التي استوفاها الى صندوق قصر العدل او صندوق الخزينة المركزي في بيروت او صناديق المالية في مراكز المحافظات والاقضية ضمن المهلة المحددة في مايأتي:

مراكز كتاب العدل	مهلة التسديد
بيروت	ثلاث مرات في الاسبوع بمعدل مرة كل يومي عمل
في مراكز المحافظات	مرتان في الاسبوع بمعدل مرة كل ثلاثة ايام عمل
في مراكز الاقضية والملحقات	مرة كل اسبوعين او كلما بلغت حصيلة الرسوم عشرة ملايين ليرة لبنانية ضمن مهلة الاسبوعين على ان تبدأ بعد هذا التاريخ الاخير مهلة الاسبوعين للتسديد.

ويتعرض الكاتب العدل الذي يخالف توريد الرسوم بعد مدة ثلاثة ايام عمل على المهل المحددة اعلاه لغرامة تاخير قدرها 1% عن كل يوم تاخير

على الكاتب العدل ان يضع بيانا مفصلا بالرسوم المتوجبة للخزينة والاتعاب

كيف يعيّن الكاتب العدل؟

يعين الكاتب العدل بنتيجة مباراة تجريها وزارة العدل، فيعين الناجح في المباراة كاتب عدل متدرجا بموجب مرسوم بناء على اقتراح وزير العدل، ويخضع لدورة تدريبية مدتها ستة اشهر يلحق خلالها باحدى دوائر كتابة العدل بقرار من وزير العدل. وبعد انتهاء هذه المهلة يصبح كاتب عدل أصيلاً.

وفي حال تغيب الكاتب العدل بإجازة إدارية أو مرضية، أو عند توقيفه مؤقتاً عن العمل وفي حالات الشغور النهائي أو التغيب من دون عذر مشروع، يكلف وزير العدل أحد الكتاب العدل المتقاعدين المنتسبين إلى المجلس بمهام الكاتب العدل الاصيل.

وفي حال تعذر تكليف كاتب عدل متقاعد، لوزير العدل، بعد الاطلاع على رأي التفتيش القضائي، أن يكلف احد الموظفين الدائمين في ملاكات الوزارة او احد المساعدين القضائيين او المساعدين القانونيين الحاملين الاجازة اللبنانية في الحقوق منذ أكثر من خمس سنوات، للقيام بمهام الكاتب العدل بصورة مؤقتة اثناء تغيب الكاتب العدل.

هل يلزم الكاتب العدل بالإعلان عن الرسوم؟ وبإعطاء صاحب العلاقة إيصالا؟

على الكاتب العدل أن يضع بيانا مفصلا بالرسوم المتوجبة للخزينة والاتعاب التي يتقاضاها عن كل معاملة تدخل ضمن صلاحيته وأن يعلقه في مكان بارز من دائرته، كما عليه ان يدون على كل معاملة بيانا مفصلا وواضحا بالرسوم والاتعاب المستوفاة، وان يعطي صاحب العلاقة ايصالا مفصلا بها. وقد أصدر وزير المالية مؤخرا قرارا تطبيقيا معدّلا ينص على انه يتوجب على كاتب العدل ان يعطي إيصالاً نظامياً من كل مبلغ يقبضه لإثبات صحة الإيراد الناتج عن كل عملية يقوم بها خلال ممارسته عمله في كتابة العدل، وفقاً للنموذج المرفق بهذا القرار والذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ منه. (مرفق صورة عن نموذج الإيصال)

من يتولّى الرقابة على الكتّاب العدل؟

يخضع الكتاب العدل للتفتيش الاداري والمالي من قبل قاض او اكثر على الا يزيد عددهم عن ثلاثة ينتدبهم لهذه الغاية وزير العدل من بين القضاة الملحقين بوزارة العدل. كما يمكن ان يتم التفتيش بواسطة موظفين من ملاك وزارة العدل من الفئة الثالثة على الاقل باشراف المدير العام لوزارة العدل يكلفون أيضا بقرار من الوزير.

ويمكن لوزير العدل ان يطلب من هيئة التفتيش المركزي تكليف مفتشين ماليين القيام بالتفتيش المالي لدى دوائر الكتاب العدل، وترفع جميع تقارير التفتيش لوزارة العدل، حيث يقرر الوزير بعد اطلاعه على تقارير التفتيش، وبالاستناد الى اهمية المخالفات الواردة فيها، العقوبة اللازمة.

من جهة أخرى تتولى دائرة مراقبة الجباية التابعة لمديرية الخزينة في وزارة المالية مراقبة تحصيل الرسوم وتوريدها الى الخزينة، وترفع التقارير بهذا الشان الى مدير الخزينة الذي يستمع الى الكاتب العدل المعني، ويفرض في حال ثبوت المخالفة غرامة التاخير، وعلى مدير الخزينة ان يبلغ ذلك وزارة العدل.

عدد مراكز كتابة العدل في لبنان

بموجب المرسوم 2022/8980 تم تعديل عدد الكتاب العدل في لبنان ليصبح

المحافظة	العدد
بيروت	54
جبل لبنان	105
لبنان الشمالي	35
عكار	6
البقاع	20
بعلبك - الهرمل	16
الجنوب	25
النبطية	17
المجموع	278

ماهي العقوبات الممكن اتخاذها بحق الكاتب العدل؟

من واجبات الكاتب العدل التقيد بأصول ممارسة وظيفته لجهة تحرير الاسناد. وكل مخالفة تقع في تحرير الاسناد عن طريق الاهمال او القصد تعرّضه، وفقاً للمادة 16 من القانون، للملاحقة قضائياً امام المحاكم المختصة. كما ان ممارسة الكاتب العدل لمهامه بطريقة مخالفة للقوانين من شانها ان تعرضه إلى الإحالة على التفتيش وفقاً للمادتين 12 و14 من القانون رقم 337 وعند الاقتضاء إلى عقوبات تاديبية والى الملاحقة القضائية المنصوص عليهما في المادتين 15 و16، وفي حال المخالفة يمكن لوزير العدل توقيع إحدى العقوبات التاديبية التالية:

1 - التنبيه. 2 - اللوم. 3 - الوقف عن العمل لمدة لا تتجاوز ستة اشهر.

ويمكن للوزير احالة الكاتب العدل على المجلس التاديبي للموظفين لاتخاذ القرار بتوقيه عن العمل لمدة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات او المنع النهائي من مزاولة المهنة. وفي هذه الحالة يمكن لوزير العدل ان يقرّر توقيف الكاتب العدل عن ممارسة عمله لمدة لا تزيد على ستة أشهر.

كيف يتم احتساب الرسوم من قبل الكاتب العدل في حال كانت المبالغ المذكورة في المستندات بالعملات الاجنبية؟

عام 2022، أصدر وزير المالية القرار رقم 1/724 الصادر في 12 كانون الاول سنة 2022 حول تحديد القيمة بالليرة اللبنانية للمبالغ المذكورة في الاسناد والعروض الفعلية بالعملة الاجنبية لاحتساب الرسم النسبي لكتابة العدل ونقابة المحامين، وذلك:

1- لاحتساب رسم كتابة العدل النسبي بمعدل 2 بالألف الوارد في الفقرة أولاً من الجدول (1) الملحق بالقانون رقم 1994/337 (نظام كتاب العدل ورسوم كتابة العدل).

2- لاحتساب رسم نقابة المحامين النسبي البالغ 1 بالألف الوارد في القانون رقم 42 الصادر بتاريخ 1991/2/19 (قانون تنظيم مهنة المحاماة وتعديلاته).

وقد حدد القرار الآلية المعتمدة لتحديد القيمة بالليرة اللبنانية للمبالغ المذكورة في الأسناد والعروض الفعلية بالدولار الأميركي، سعر الصرف على منصة صيرفة في اليوم السابق لتاريخ المصادقة على السند او العرض الفعلي، وفي حال كانت المبالغ المذكورة في الأسناد او العروض الفعلية محددة بعملة أجنبية أخرى، يتم تحويلها الى ما يقابلها بالدولار الأميركي وفقاً لمتوسط سعر التحويل بين العملات الاجنبية والدولار الاميركي، ويتم تحديد قيمتها بالليرة اللبنانية وفق سعر الصرف على منصة صيرفة أو المعتمد رسميا من قبل مصرف لبنان.

في القانون

تحليل قرار محكمة العدل الدولية
إشعار تحذيري لداعمي إسرائيل

لونا فرحات

يعتبر قرار محكمة العدل الدولية، في 26 كانون الثاني الماضي، بفرض تدابير مؤقتة على الكيان الصهيوني، خطوة مهمة في اتجاه إعادة ترسيخ مصداقية المؤسسات الدولية وتطبيق القانون الدولي. فلسنوات طويلة، أحبط الغرب كثيراً من الجهود الرامية إلى محاسبة إسرائيل على الجرائم المرتكبة ضد الشعب الفلسطيني. ويرى قانونيون أن التوجه المستقبلي هو تعزيز ثقافة عدم الإفلات من العقاب، ورفض فكرة أن القانون الدولي فاقد لفعاليته. فقد نجحت جنوب أفريقيا بسلوكها الإيجابي في إعادة تصويب الاهتمام الدولي للقضية الفلسطينية ولفت نظر العالم إلى قضية عمرها 75 عاماً، عندما رفضت مزاعم إسرائيل بأن العملية العسكرية الإسرائيلية ضد غزة هي وليدة «هجوم 7 أكتوبر»، وهو ما أجبر الكيان الصهيوني المتغنّت على الخضوع هذه المرة، والمثول أمام محكمة العدل الدولية، ظانّاً أنه يمكن التذرع فقط بحجة الدفاع عن النفس وينتهي الأمر لمصلحته.

أهم ما جاء في نص قرار المحكمة، رفض طلب إسرائيل بإلغاء الدعوى، وهذا يعني أن المحكمة ستكمل النظر في الأسس الموضوعية لها. قبول الدعوى من المحكمة والتأكيد على اختصاصها في هذه المرحلة، وفقاً للمادة التاسعة من اتفاقية منع الإبادة، شكل رداً قانونياً على الإدارة الأميركية التي زعمت أن الدعوى «لا أساس لها من الصحة». وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن «المجتمع القانوني الدولي» بات يرفض الدعم اللامشروط الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل، وليس فقط مواطنيها.

تقديم جنوب أفريقيا دعوى ضد إسرائيل يثبت أن حق التقاضي مضمون للدول ذات السيادة الحقيقية والإرادة الحرة. فهي لم ترضخ لضغوط شتى مورست عليها لترك الشأن الفلسطيني. وتعدّ خطوة جنوب أفريقيا دفاعاً عن الإنسانية جمعاء وعن الضمير العالمي. وهي من أوصلت صوت الفلسطينيين إلى محكمة العدل الدولية في أول دعوى تمثّل فيها إسرائيل كمدعى عليها، ما شكّل حدثاً تاريخياً بامتياز. كما أنه يُنبئ بالدور القيادي الذي يمكن أن تلعبه جنوب أفريقيا في دعم شعوب عالم الجنوب وقضايا العدالة والإنصاف.

تبعات التدابير المؤقتة القانونية

لاحظ خبراء قانونيون أن قرار محكمة العدل الدولية يحمل بين سطوره رسالة تحذيرية ضمنية للدول الداعمة لإسرائيل في حربها على الشعب الفلسطيني في غزة، وإن لم تُجب المحكمة عن سؤال هل ارتكبت إسرائيل جريمة الإبادة، علماً أنها غير معنية بالإجابة على سؤال كهذا في مرحلة النظر في التدابير المؤقتة. لكن المحكمة رأت، وبحسب تعبيرها القانوني، أن بعض الأفعال والقانون الدولي على حد سواء، صدور التدابير المؤقتة يعني أن شروط الطلب الذي تقدمت به جنوب أفريقيا قد تحققت. فهذه التدابير لا تصدر إلا في قضايا واضحة المعالم، وهذا ما أكدت عليه المحكمة بقولها إن ما عُرض من ادعاءات، وبالاستناد إلى تقارير الأمم المتحدة، وإلى التصريحات الصادرة عن مسؤولين إسرائيليين، وعبر أرقام الضحايا والوضع الكارثي للفلسطينيين في غزة، كل ذلك يجعل من الممكن اعتبار أن هناك أسساً «معقولة» للقول إن الحرب الإسرائيلية على غزة يمكن أن تندرج ضمن نطاق أعمال الإبادة الجماعية، مخالفة في ذلك ادعاءات الفريق الإسرائيلي في مرافعته في 12 كانون الثاني الذي سعى جاهداً إلى أن يبرهن أن دعوى جنوب أفريقيا ليست واضحة المعالم.

مسألة الدليل على النية المتعمدة: قلق من الإخفاق

في المقابل اعتبر البعض أن المحكمة ليس لديها دليل لتقرّ ما إذا كانت إسرائيل قد ارتكبت جريمة إبادة في غزة أم لا. فالبعض يرى أن الموت والدمار لا يشكلان إثباتاً لانتهاك اتفاقية منع الإبادة التي تتطلب توافر نية تدمير جماعة قومية أو دينية أو إثنية بصفتها هذه كلياً أو جزئياً. لذلك يتعين على جنوب أفريقيا في المرحلة التالية، عند النظر في الأسس الموضوعية، أن تثبت نية إسرائيل الفعلية لتدمير المجموعة الفلسطينية في غزة تدميراً كلياً أو جزئياً. وهي مسألة معقدة، ولكن يلاحظ أن المحكمة استشعرت الخطر المحدق بالفلسطينيين الذين يخضعون لحماية الاتفاقية، عبر التصريحات التي صدرت عن شخصيات وزارية صهيونية وصولاً إلى رئيس «الدولة»، وهي تصريحات ترافقت وتزامنت مع الكارثة الإنسانية التي وقعت في غزة. وهو ما يدل على أن المحكمة تأخذ تلك التصريحات ضمن ما قد يثبت نية التعمد في ارتكاب الأفعال المحظورة في الاتفاقية. مع ذلك، فإن مسألة إثبات عناصر النية المتعمدة في ارتكاب الإبادة لا تزال محل جدال قانوني. لذلك، يتخوف البعض من صعوبة إثباتها. وهذا ما لفت إليه القاضي الهندي دالفير بهانداري، العضو في هيئة المحكمة، في بيان له يوضح فيه أسباب تأييده لقرار التدابير المؤقتة، قائلاً إنه يرى أنه، وإن كان معيار المعقولية قد توافر لفرض التدابير المؤقتة، فهو أقل بكثير من المعيار القانوني المطلوب والذي سيعتمد لتحديد ما إذا كانت هناك نية متعمدة لارتكاب جريمة الإبادة. والموقف نفسه عبّر عنه القاضي الألماني جورج نولت في بيانه التوضيحي حول أسباب تأييده للتدابير المؤقتة. إذ أكد أن المعيار القانوني المطلوب تحققه في مرحلة إثبات النية المتعمدة لارتكاب الإبادة أكثر صرامة ودقة من المعيار المطلوب لتطبيق التدابير المؤقتة، وهو يرى أن جنوب أفريقيا لم تظهر بشكل معقول أن العملية العسكرية التي قامت بها إسرائيل في حد ذاتها قد نُفذت بنية الإبادة الجماعية. مع ذلك، فقد أيد القاضي نولت المحكمة وصوّت لمصلحة القرار، استناداً «إلى الادعاء المعقول من جانب جنوب أفريقيا بأن بعض البيانات التي يدلي بها مسؤولو الدولة الإسرائيلية، بمن فيهم أفراد جيشها، تثير خطراً حقيقياً ووشيكاً بالمساس بحقوق الفلسطينيين بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية على نحو لا يمكن إصلاحه».

> **قرار محكمة العدل الدولية يحمل بين سطوره رسالة تحذيرية ضمنية للدول الداعمة لإسرائيل في حربها على الشعب الفلسطيني في غزة**

وقف العمليات العسكرية «ضمناً»

لم يتضمن القرار أمراً بوقف إطلاق النار كما كانت تأمل جنوب أفريقيا. فالمحكمة هنا أعادت استخدام العبارات الواردة في القرار الصادر في قضية غامبيا ضد ميانمار، والذي يطلب من ميانمار اتخاذ كل التدابير لمنع ارتكاب جريمة الإبادة، ولم يصدر لها أمر بالكف عن عملياتها العسكرية ضد أقلية الروهينغا. فميانمار كانت في الوقت نفسه في نزاع مسلح مع معارضة مسلحة من أقلية الروهينغا، وليس للمحكمة صلاحية التدخل في نزاع داخلي بين حكومة ميانمار والمعارضة المسلحة، وليس لها أيضاً صلاحية إصدار أمر يلزم طرفاً في نزاع مسلح هو ليس بدولة. فالمحكمة تنظر في النزاعات القانونية بين الدول فقط. ولكن التدابير تضمنت فعلياً وقفاً للعمليات العسكرية. فالقرار جاء بعد أن تبين للمحكمة أن هناك ما يبرر اتخاذ تدابير مؤقتة من أجل منع حدوث ضرر لا يمكن إصلاحه، وبناء عليه يتعين على إسرائيل اتخاذ إجراءات ملموسة فورية وجميع التدابير التي في وسعها لمنع ارتكاب جميع الأعمال التي تدخل في نطاق المادة الثانية من هذه الاتفاقية، ولا سيما: (أ) قتل أعضاء الجماعة؛ (ب) قتل أعضاء الجماعة؛ (ج) قتل أعضاء هذه الاتفاقية؛(ب) التسبب في ضرر بدني أو عقلي جسيم لأعضاء الجماعة؛ (ج) إخضاع الجماعة عمداً لظروف معيشية بقصد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً؛ (د) فرض تدابير ترمي إلى منع الولادات داخل الجماعة، وأن على إسرائيل اتخاذ تدابير فورية وفعالة لتوفير الخدمات الأساسية والمساعدة الإنساني لاستعادة الظروف التي يمكن أن تدعم الحياة في غزة. وبناء عليه، يجب على إسرائيل أن تسمح بدخول الغذاء والماء والمساعدات وغيرها من الضروريات الإنسانية من دون تأخير أو قيود تعسفية على عمليات إدخال المساعدات أو تقييد أنواعها. ولتنفيذ ذلك، سيتعين على إسرائيل إعادة الاتصالات السلكية واللاسلكية لقطاع غزة لضمان إيصال المساعدات وتوزيعها في جميع أرجاء القطاع. ويتّضح من هذه الالتزامات أنه من المستحيل تنفيذها من دون وقف فعلي للعملية العسكرية. وبذلك، تكون المحكمة قد أمرت فعلياً بوقف إطلاق النار من دون أن تدعو إليه صراحة.

(صف الويب)

الحفاظ على الأدلة لماذا؟

طبقاً لقرار المحكمة، على إسرائيل أن تتخذ تدابير فعالة لمنع التدمير وضمان الحفاظ على الأدلة المتصلة بادعاءات ارتكاب أعمال تدخل في نطاق المادتين الثانية والثالثة من اتفاقية الإبادة الجماعية ضد أعضاء الجماعة الفلسطينية في قطاع غزة. فقد أمرت المحكمة إسرائيل باتخاذ تدابير فعالة للحفاظ على الأدلة المتعلقة بمزاعم أعمال الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين، وذلك لضمان عدم إتلاف وفقدان الأدلة ذات الصلة، والتي تتعلق بأفعال القتل والأذى الجسدي أو العقلي الخطير وظروف الحياة التي تهدف إلى تدمير كلي أو جزئي للفلسطينيين، كذلك تدابير منع الولادات والتآمر والتحريض أو الشروع في ارتكاب تلك الأفعال أو التواطؤ، قبل مرحلة النظر في الأسس الموضوعية للدعوى، والتي ستستغرق سنوات عدة. إن الطلب لحفظ الأدلة ضروري ليس فقط لتقييم سلوك إسرائيل حول مدى التزامها باتفاقية منع الإبادة، بل أيضاً لأن الأدلة المطلوب الحفاظ عليها ستستخدم في مسارات قضائية أخرى. أمر المحكمة بالحفاظ على الأدلة يشير إلى أهميتها لاستعمالها في قضايا جرائم الحرب وضد الإنسانية. فالمحكمة الجنائية الدولية تلقت فعلياً أكثر من طلب (من بينها طلب تقدمت به جنوب أفريقيا مع عدد من الدول) لفتح تحقيق في جرائم حرب ارتكبتها إسرائيل في غزة. وحرصاً على ضمان المساءلة في المستقبل، عليها الحفاظ على الأدلة المتعلقة بجميع الجرائم الفظيعة التي ارتكبت في غزة.

شهر شباط: التزامات على الكيان الصهيوني

على إسرائيل أن تقدم تقريراً خلال شهر من تاريخ صدور القرار، ويفترض أن تسلّم المحكمة قبل نهاية شباط تقريراً مفصلاً حول الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل تنفيذاً لأمر التدابير المؤقتة، ليحال التقرير إلى جنوب أفريقيا للتعليق عليه. وهي فرصة لجنوب أفريقيا لتقدم طلباً بتعديل التدابير المؤقتة، كما أن للمحكمة الصلاحية في إعادة النظر بالتدابير إما تعديلاً أو تشديداً أو إلغاء، بحسب ما تراه مناسباً، وإلا فإن هذه التدابير المؤقتة ستبقى مطبقة إلى حين صدور الحكم في الدعوى والذي قد يستغرق سنوات، كما في دعوى البوسنة ضد صربيا التي رفعت عام 1993 وصدر الحكم النهائي فيها عام 2007.

سيكون على إسرائيل أيضاً تبرير ممارساتها في الضفة الغربية والقدس أمام محكمة العدل الدولية التي ستبدأ هيئتها الاستشارية، في 19 شباط، النظر في طلب الجمعية العامة للأمم المتحدة حول التبعات القانونية الناشئة عن انتهاك إسرائيل المستمر لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، واحتلالها الطويل الأمد واستيطانها وضمها للأراضي واعتمادها تشريعات وإجراءات تمييزية.

تحت القوس

(صف الويب)

رسالة إسرائيلية في الأذن الصمّاء

عمر نشابة

في 15 تشرين الثاني 2023، بعد 40 يوماً على بداية العدوان الإسرائيلي المستمرّ على قطاع غزّة المحاصر، اعتمد مجلس الأمن الدولي القرار رقم 2712 الذي يدعو إلى إقامة هُدن وممرات إنسانية عاجلة ممتدة في جميع أنحاء قطاع غزة. وفي 12 كانون الأول 2023، بعد 67 يوماً على العدوان، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، بأغلبية أصوات 153 دولة، قراراً عنوانه «حماية المدنيين والتمسك بالالتزامات القانونية والإنسانية»، يطالب بالوقف الإنساني لإطلاق النار وضمان وصول المساعدات الإنسانية إلى غزة. وكان قد بلغ عدد الشهداء يومها 18412، وزاد عدد الجرحى على خمسين ألفاً، فيما تعرّضت المستشفيات لقصف مركّز، وشدد العدو الإسرائيلي حصاره على غزة مانعاً ادخال الطعام والأدوية والمحروقات.

في 26 كانون الثاني 2024، بعد 112 يوماً من القصف المتواصل على غزة واستشهاد 26083 وجرح 64487 آخرين، صدر قرار عن أرفع سلطة قضائية في العالم (محكمة العدل الدولية)، بأغلبية أصوات القضاة، يلزم «إسرائيل» بالتوقف عن قتل المدنيين الفلسطينيين وإلحاق الأذى الجسدي أو النفسي بهم وإخضاعهم لظروف معيشية يراد بها تدميرهم كلياً أو جزئياً.

> **ينشغل الحقوقيون بتقديم آلاف التقارير والقرائن والوثائق والصور وعشرات آلاف الأسماء لبشر يستمر العدو الإسرائيلي في تصفيتهم يومياً منذ 120 يوماً وأكثر من 75 عاماً**

صدر قرار محكمة العجل الدولية يوم الجمعة. في اليوم نفسه، ارتكب الجيش الاسرائيلي 19 مجزرة في غزة راح ضحيتها 183 شهيداً و377 جريحاً. في اليوم التالي (السبت) ارتكب جيش العدو 18 مجزرة راح ضحيتها 174 شهيداً و310 جرحى. ويوم الاحد ارتكب جيش العدو 19 مجزرة راح ضحيتها 165 شهيداً و290 جريحاً. وبدأ الاسبوع الذي تلى ذلك بمزيد من القتل، فشهد يوم الاثنين 14 مجزرة راح ضحيتها 215 شهيداً و300 جريح، ويوم الثلاثاء 13 مجزرة راح ضحيتها 114 شهيداً و249 جريحاً، ويوم الأربعاء 16 مجزرة راح ضحيتها 150 شهيداً و313 جريحاً، ويوم الخميس 15 مجزرة راح ضحيتها 118 شهيجاً و190 جريحاً. ما يعني ان مجموع المجازر التي ارتكبها جيش العدو منذ صدور قرار ارفع محكمة قضائية في العالم يأمرها بوقف القتل (حتى يوم الخميس) بلغ 279 مجزرة راح ضحيتها 1119 شهيداً و2029 جريحاً.

هكذا تردّ «إسرائيل» على «المجتمع الدولي» و«الأمم المتحدة»، وتبعث برسالة واضحة الى كل العالم لا تقتصر على القول بأن القانون الدولي لا يعنيها فحسب، بل ان أحداً لن يجرؤ على محاسبتها أو حتى معاتبتها على ابادتها للشعب الفلسطيني، وإنما العكس. فـ«إسرائيل» اليوم تحتاج الى اصدقائها اكثر من أي وقت مضى. والولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبعض الدول العربية وغيرها من الدول «الصديقة»، ضاعفت حجم مساعداتها الى «إسرائيل». أما منظمة الأمم المتحدة فانشغلت بدفن موظفيها الذين قتلهم الجيش الإسرائيلي. وسارعت دول العالم المتحضر لمعاقبة الاونروا بسبب ادعاء المخابرات الإسرائيلية بأن عدداً من موظفيها قدموا مساعدة للمقاومة الفلسطينية وشاركوا في طوفان الأقصى. أما المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية فما زال مكتبه يجمع معطيات منذ عام 2008 عن «احتمال» ارتكاب الجيش الإسرائيلي جرائم بحسب القانون الدولي. وينشغل الحقوقيون بتقديم آلاف التقارير والقرائن والوثائق والصور وعشرات الآف الأسماء، لبشر يستمر العدو الإسرائيلي في تصفيتهم يومياً منذ 120 يوماً وأكثر من 75 عاماً.

هل وصلت الرسالة الإسرائيلية؟

لا اعتقد ان الانسان الصادق يحتاج الى هذه الرسالة ليعلم ان «إسرائيل» وحلفاءها يستهزئون بكل من يطالب بسيادة القانون الدولي. اما الآخرون فأذانهم صمّاء، عن سابق تصوّر وتصميم للحفاظ على مصالحهم الضيقة حتى لو كان ذلك على حساب حياة آلاف البشر.

«هذا العدو لا يفهم إلاّ لغة الحديد والدم، وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نواجهه بها». (السيد حسن نصرالله – احتفال ذكرى الشهداء القادة 16-2-2002)

القوس
السبت 3 شباط 2024 العدد 99

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، الف باء القانون
■ تصميم فني: رامي عليّان
alqaous alqaous22 alqaous al_qaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com